وزارة المعارف العمومية

القرآن الكريم والدين والتهذيب

للمدارس الابتدائية

مقرر السنة الرابعة

تأليف

محمد أحمد جاد المولى بك و [illegible] مصطفى [illegible] خفاجي

المفتش الأول للغة العربية   أستاذ الشريعة بدار العلوم

عبد الغفار طنطاوي

المدرس بمدرسة المعلمات [illegible]

القاهرة

طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩[illegible]٠

وزارة المعارف العمومية

القرآن الكريم والدين والتهذيب

للمدارس الابتدائية

مقرر السنة الرابعة

تأليف

محمد أحمد جاد المولى بك
المفتش الأول للغة العربية

و

مصطفى محمد خفاجى
أستاذ الشريعة بدار العلوم

عبد الغفار طنطاوى
المدرس بمدرسة المعلمات بشبرا

القاهرة
طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٠

فهـــرس

القرآن الكريم

الحديث الشريف

التهذيب ـ الفضائل

العبادات

الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

لله الحمد والثناء والمنة ، وعليه المعوّل فى البداية والنهاية . والصلاة والسلام على خير خلقه محمد المبعوث للناس نجاة ورحمة، وعلى آله وأصحابه الذين انتهجوا سبيله ، فكانوا للدين عضدا وللعاملين قدوة .

وبعد ، فهذا هو الجزء الرابع من كتاب " القرآن الكريم والدين والتهذيب " لتلاميذ السنة الرابعة الابتدائية وفق المنهج الحديث للعام الدراسى (١٩٤٠–١٩٤١م) ، توخينا فيه تصوير أبطال المسلمين تصويرا تجلّت فيه مآثرهم وكبير جهودهم وما كان لهم من الأثر الخالد فى إعلاء كلمة الدين ، وشرحنا الأحاديث النبوية شرحا بيّن ما لها من الأثر فى الحياة العملية والآداب الاجتماعية .

وقد قرّرته وزارة المعارف للمدارس الأميرية بعد أن أثبت الفحص عنه أنه أفضل الكتب دقة فى الشرح مع السهولة والإيجاز المحمود ، وتحديد المعانى والاستعانة بالصور ، وأنه خير نظائره من الكتب الأخرى .

والله نسأل أن يتقبل عملنا ، ويحقق ما قصدنا اليه من خدمة الدين وتهذيب الناشئين إنه سميع الدعاء مه

رمضان سنة ١٣٥٩ (أكتوبر سنة ١٩٤٠)

١ – القرآن الكريم

(ا) يَحْفَظُ التَّلامِيذُ الآيَاتِ الْآتِيَةَ بَعْدَ تَفْسِيرِهَا :

الدرس ١ – معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
سَبِيلِ الله	وُجُوهِ الْخَيْرِ	قَوْلٌ مَعْرُوفٌ	رَدٌّ جَمِيلٌ
يُضَاعِفُ	يَزِيدُ فِى الثَّوابِ	مَغْفِرَةٌ	صَفْحٌ عَنْ إِلْحَاحِ السَّائِلِ
واسِع	كَثِيرُ الْعَطَاءِ		
مَنًّا	الْمَنُّ تَعْدَادُ النِّعَمِ افْتِخَارًا بِهَا		

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ، فِى كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ، وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ *

(٢) ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ، ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ، لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *

(٣) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ *

[من سورة البقرة]

المعنى الإجمالى

(١) يرغِّبنا اللهُ سبحانَه وتعالى فى فعلِ الخيرِ ، وإنفاقِ المالِ فى وجوهِ البرِّ : من إطعامِ الفقراءِ وتعليمِهم ، ومداواتِهم وإعلاءِ شأنِ الإسلامِ ، ونشرِه فى سائرِ الأقطارِ ، وتعميرِ المساجدِ لذكرِ اللهِ ، ويعدنا (سبحانه) بأنَّ ما ننفقُه فى هذهِ الوجوهِ عن إخلاصٍ يكونُ جزيلَ النفعِ ، كبيرَ الفائدةِ ، فالحسنةُ الواحدةُ كمثلِ حبةٍ من القمحِ ، أخرجت سبعَ

سَنابِلَ ، فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ، وَٱللهُ يَزِيدُ فِي ثَوابِهَا بِمِقْدارِ ذٰلِكَ أَوْ أَكْثَرَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ .

(٢) وإِنَّ مِنْ آدَابِ الْإِنْفَاقِ وَالتَّصَدُّقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ أَنْ يُعْطِيَ الْإِنْسَانُ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنْ مَا يَبْذُلُهُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ لَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ، وَأَلَّا يَتَحَدَّثَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَتَصَدَّقُ ، وَأَلَّا يُؤْذِيَ مَنْ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ بِعُبُوسَةِ الْوَجْهِ ، أَوْ بِكَلَامٍ جَارِحٍ ، أَوْ رَدٍّ خَشِنٍ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُنَفِّرُ مِنْهُ الْفُقَرَاءَ ، وَيُخْجِلُ ٱلْمَسَاكِينَ ، وَيُبْعِدُهُمْ عَنِ الاسْتِعَانَةِ بِهِ . فَمَنْ رَاعَى هٰذِهِ الْآدَابَ فَإِنَّ اللهَ يَقِيهِ كُلَّ مَكْرُوهٍ ، وَيَحْفَظُ مَالَهُ ، وَيَزِيدُهُ خَيْراً وَبَرَكَةً .

(٣) وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَا تُعْطِيهِ السَّائِلَ فَلَا تُغْلِظْ فِي الرَّدِّ ، بَلْ قُلْ لَهُ قَوْلًا حَسَناً ، وَرُدَّهُ رَدًّا يُخَفِّفُ بَعْضَ مَا يُلَاقِي مِنْ ضَرَرِ الْبُؤْسِ وَأَلَمِ الْحِرْمَانِ ، وَإِنْ زَلَّ لِسَانُهُ فَاصْفَحْ عَنْهُ لِمَا

هُوَ فِيهِ مِنْ عَوَزٍ وَاحْتِيَاجٍ ، فَإِنَّ هَـذَا الصَّنِيـعَ أَكْرَمُ وَأَفْضَلُ عِنْدَ اللّٰهِ وَالنَّاسِ مِنَ التَّصَدُّقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَإِيذَائِهِمْ .

وَلْيَعْلَمْ كُلُّ مُتَصَدِّقٍ أَنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ النَّـاسِ وَصَدَقَاتِهِمْ ، لَا يَعُودُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، وَإِنَّمَـا فَائِدَتُهَا وَثَمَـرَاتُهَا لِلْمُتَصَدِّقِينَ .

ما ترشد إليه هذه الآيات الـكريمة :

(١) التَّرْغِيبُ فِي الْإِنْفَاقِ وَبَذْلُ الْمَـالِ فِي طُرُقِ الْخَـيْرِ .

(٢) أَنَّكَ إِذَا تَصَدَّقْتَ فَلَا تَفْخَرْ بِمَا تَتَصَدَّقُ بِهِ ، وَلَا تُتْبِـعِ الصَّدَقَةَ مَا يُؤْذِي السَّائِلَ ، وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَا تَتَصَـدَّقُ بِهِ فَرُدَّ السَّائِلَ رَدًّا جَمِيلًا .

(٣) أَنَّ فَائِدَةَ الصَّدَقَةِ ، تَعُودُ عَلَى صَاحِبِهَـا ، وَاللّٰهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ .

الدرس ٢ — معانى المفردات

الكلمة	معناها
يَكْنِزُونَ	يَجْمَعُونَ وَيَدَّخِرُونَ .
سَبِيلِ اللهِ	طُرُق الْخَيْرِ .
فَبَشِّرْهُمْ	خَوِّفْهُمْ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

" وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ، وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ، فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ * " .

[من سورة التوبة]

المعنى الإجمالى

أَنْعَمَ اللهُ علينا بِالْمَالِ لِنَنْتَفِعَ بِهِ، وَنُنْفِقَ مِنْهُ فِى سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَلِذَلِكَ أَوْجَبَ عَلَيْنَا الزَّكَاةَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، لِنَدْفَعَ عَنْهُمْ ضَرَرَ الْجُوعِ وَأَلَمَ الْمَرَضِ وَظُلْمَةَ الْجَهْلِ ، بِأَنْ نُطْعِمَهُمْ ، وَنُنْشِئَ الْمُسْتَشْفَيَاتِ لِمُعَالَجَةِ أَمْرَاضِهِمْ ، وَالْمَدَارِسَ لِتَعْلِيمِهِمْ ، وَالْمَلَاجِئَ لِإِيوَاءِ الْعَجَزَةِ مِنْهُمْ ، حَتَّى لَا تَضْطَرَّهُمُ الْحَاجَةُ إِلَى السَّرِقَةِ أَوْ قَتْلِ الْأَغْنِيَاءِ وَارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ .

فَالْأَغْنِيَاءُ الْبُخَلَاءُ الَّذِينَ لَا يُنْفِقُونَ شَيْئاً مِنْ مَالِهِمْ فِى طُرُقِ الْخَيْرِ يَكْرَهُهُمُ اللهُ وَالنَّاسُ ، وَيُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَاباً أَلِيماً ، فَتُوقَدُ النَّارُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَتُكْوَى بِهَا وُجُوهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ جَزَاءَ بُخْلِهِمْ وَمَنْعِهِمُ الْإِحْسَانَ وَالْمَعْرُوفَ .

ما ترشد إليه هاتان الآيتان :

أَنَّه يَجِبُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ أَنْ يُؤَدُّوا مَا فِي أَمْوَالِهِمْ مِنَ الْحُقُوقِ لِيَنَالُوا مَحبةَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ .

الدرس ٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

"إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا، وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَفِي ٱلرِّقَابِ، وَٱلْغَٰرِمِينَ، وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ، وَٱبْنِ السَّبِيلِ، فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ، وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" *

[من سورة التوبة]

المعنى الاجمالى

بَيَّنَ اللهُ فِي هٰذِهِ الْآيَةِ الْجِهَاتِ الَّتِي تُصْرَفُ فِيهَا الزَّكَاةُ وَهِيَ :

(١) الْفُقَرَاء : وَهُمُ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً قَلِيلًا .

(٢) الْمَسَاكِين : وَهُمُ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً أَصْلًا .

(٣) الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا : وَهُمُ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ الزَّكَاةَ مِنَ النَّاسِ لِبَيْتِ الْمَالِ (وزارة المالية) .

(٤) الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ : وَهُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِى الْإِسْلَامِ وَفِى إِيمَانِهِمْ ضَعْفٌ ، أَوِ الَّذِينَ يُرَادُ اسْتِمَالَتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ دَفْعُ أَذَاهُمْ وَشَرِّهِمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ .

(٥) الْعَبِيدُ الَّذِينَ طَلَبَ مِنْهُمْ مَوَالِيهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا إِلَيْهِمْ مِقْدَارًا مِنَ الْمَالِ كَىْ يُعْتِقُوهُمْ وَيَنَالُوا حُرِّيَّتَهُمْ .

(٦) الْغَارِمُونَ : وَهُمُ الْمَدِينُونَ الْعَاجِزُونَ عَنْ وَفَاءِ دُيُونِهِمْ .

(٧) سَبِيلُ اللهِ : وَهُوَ كُلُّ مَا يُذِيعُ الْإِسْلَامَ وَيُعْلِى شَأْنَهُ كَالْإِنْفَاقِ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ وَالْقَائِمِينَ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ .

(٨) ابْنُ السَّبِيلِ : وَهُوَ الْمُسَافِرُ الْغَرِيبُ الَّذِى نَفِدَ مَالُهُ. فَمَنْ أَنْفَقَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِ فِى وَاحِدَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْجِهَاتِ، قَاصِدًا تَحْقِيقَ الْغَايَةِ الَّتِى أَرَادَهَا اللهُ مِنْ إِيجَابِهَا، وَهِىَ إِعَانَةُ الْمُحْتَاجِ، وَإِيجَادُ التَّآلُفِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ الْفَقِيرِ وَالْغَنِىِّ، وَإِعْزَازُ الْإِسْلَامِ، وَتَحْرِيرُ الْأَرِقَّاءِ ، فَقَدْ أَدَّى مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِ .

الدرس ٤ — معانى المفردات

الكلمة	معناها
بَكَّةَ	مَكَّة .
مُبَارَكًا	كَثِيرَ الْخَيْرَاتِ .
مَقَامُ ابْرَاهِيمَ	الْحَجَرُ الَّذِى قَامَ عَلَيْهِ وَقْتَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ، وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ، وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ * " .

[من سورة آل عمران]

المعنى الإجمالى

بِمَكَّةَ بِنَاءٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ ، جَلِيلُ الْقَدْرِ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ هُوَ (الْكَعْبَةُ الْمُشَرَّفَةُ) ، وَهِىَ مِنَ الْحِجَارَةِ الزُّرْق ، تَكَادُ تَكُونُ مُرَبَّعَةَ الشَّكْلِ ، وَهِىَ أَوَّلُ بَيْتٍ جَعَلَهُ اللهُ لِلطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَمَقْصِدًا لِلْحَجِّ ، كَثِيرَ الْبَرَكَةِ يُضَاعِفُ اللهُ فِيهِ ثَوَابَ الْأَعْمَالِ ، وَيَتَبَادَلُ النَّاسُ فِيهِ التَّعَارُفَ وَأَنْوَاعَ التِّجَارَاتِ ، وَإِلَيْهِ تَتَّجِهُ وِجْهَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَمِيعِ أَطْرَافِ الْأَرْضِ فِى الصَّلَاةِ ،

وَلَهُ فَوْقَ ذٰلِكَ مَزَايَا جَمَّةٌ اخْتُصَّ بِهَا دُونَ سَائِرِ الْمَسَاجِدِ — مِنْهَا : الْحَجَرُ وَهُوَ أَثَرٌ تَارِيخِيٌّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الَّذِي بَنَى الْكَعْبَةَ هُوَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبُو الْأَنْبِيَاءِ ، وَمِنْهَا أَنَّ مَنِ احْتَمَى بِهِ أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ حَتَّى الطَّيْرُ يَحْرُمُ فِيهِ صَيْدُهَا ، وَالشَّجَرُ يَحْرُمُ قَطْعُهُ ، وَكَذٰلِكَ كَانَ شَأْنُهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ .

وَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ الْحَجَّ ، وَجَعَلَهُ فَرْضًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَالِغٍ ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ قَادِراً عَلَى السَّفَرِ ، صَحِيحَ الْجِسْمِ ، مَالِكاً لِنَفَقَاتِ الذَّهَابِ وَالْإِيَابِ ، آمِناً عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ . وَبَيَّنَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ هٰذِهِ الْفَرِيضَةَ وَتَرَكَهَا ، فَإِنَّ وَبَالَ ذٰلِكَ عَائِدٌ عَلَيْهِ وَحْدَهُ ، لِأَنَّ اللهَ لَا تَنْفَعُهُ عِبَادَةُ الطَّائِعِينَ ، وَلَا تَضُرُّهُ مُخَالَفَةُ الْعَاصِينَ .

ما ترشد إليه هاتان الآيتان الكريمتان :

(١) أَنَّ الْكَعْبَةَ الْمُشَرَّفَةَ أَوَّلُ مَكَانٍ بُنِيَ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، فَهِيَ أَجْدَرُ بِالتَّعْظِيمِ ، وَأَحَقُّ بِالِاحْتِرَامِ .

(٢) أَنَّهُ يَجِبُ الْحَجُّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ قَادِرٍ عَلَى السَّفَرِ وَنَفَقَاتِهِ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ .

الدرس ٥ — معانى المفردات

الكلمة	معناها
عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ	مُعَرَّضًا لِكَثْرَةِ الْحَلِفِ بِهِ .
أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا	لِتَكُونُوا صَالِحِينَ عَلَى خَوْفٍ مِنَ اللهِ .
وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ	يَثِقَ النَّاسُ بِكُمْ فَتُصْلِحُوا بَيْنَهُمْ .
يُؤَاخِذُكُمْ	يُجَازِيكُمْ .
اللَّغْوِ	الَّذِي يَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ ، أَوِ السَّاقِطِ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي لَا يُعْتَدُّ بِهِ .
كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ	قَصَدْتُمْ وَأَكَّدْتُمْ .
غَفُورٌ حَلِيمٌ	كَثِيرُ الصَّفْحِ وَالْحِلْمِ .

١٦
ـــ
١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

"وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ، وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ، وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * "

[من سورة البقرة]

المعنى الإجمالى

اشْتَمَلَتْ هَاتَانِ الآيَتَانِ عَلَى أَحْكَامٍ وَآدَابٍ ، يُرْشِدُنَا اللهُ إِلَيْهَا لِنَعْمَلَهَا وَنَتَخَلَّقَ بِهَا ، وَهِىَ :

(١) تَجَنُّبُ كَثْرَةِ الْحَلِفِ بِاللهِ وَتَعْرِيضِ اسْمِهِ الْكَرِيمِ لِلْيَمِينِ فِى كُلِّ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ ، لِأَنَّ مَنْ يَعْتَادُ ذٰلِكَ يَنْطَلِقُ لِسَانُهُ بِالْحَلِفِ وَلَا يَبْقَى لِلْيَمِينِ فِى قَلْبِهِ أَثَرٌ ، فَيَسْهُلُ عَلَيْهِ إِقْدَامُهُ عَلَى الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ ، وَلِأَنَّ اسْمَ اللهِ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنْ أَنْ

يُتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى تَحْقِيقِ غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ. فَاجْتِنَابُ ذٰلِكَ مِنْ صِفَاتِ الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ الَّذِينَ يَثِقُ النَّاسُ بِهِمْ وَيَرْكَنُونَ إِلَيْهِمْ فِي إِصْلَاحِ مَا يَقَعُ بَيْنَهُمْ .

فَيَنْبَغِي أَنْ يَلْتَزِمَ الْمُؤْمِنُ الصِّدْقَ فِي قَوْلِهِ ، وَلَا يَتَّخِذَ ٱسْمَ اللهِ أَدَاةً لِتَحْقِيقِ مَآرِبِهِ ، فَإِنَّ اللهَ يَسْمَعُ مَنْ يَحْلِفُ بِٱسْمِهِ . وَيَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ الْحَلِفَ تَعْظِيماً لَهُ وَإِجْلَالًا .

(٢) مَنْ جَرَى الْقَسَمُ بِاللهِ عَلَى لِسَانِهِ بِدُونِ قَصْدٍ وَلَا نِيَّةٍ ، أَوْ حَلَفَ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ يَظُنُّهُ كَمَا قَالَ ، وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ عَلَى خِلَافِهِ ، فَلَا يُجَازِيهِ ٱللهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ .

(٣) وَمَنْ حَلَفَ مُصَمِّماً وَمُؤَكِّداً مَا حَلَفَ عَلَيْهِ ، وَجَبَ أَنْ يَفِيَ بِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَفِ فَعَلَيْهِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ ، وَهِيَ :

أَنْ يُطْعِمَ عَشَرَةَ مَسَاكِينَ : يُغَدِّيهِمْ وَيُعَشِّيهِمْ مِنْ أَوْسَطِ مَا يَأْكُلُ ، أَوْ يَكْسُوهُمْ ، أَوْ يُعْتِقَ عَبْداً أَوْ جَارِيَةً لِلهِ تَعَالَى .

فَإِنْ لَمْ يَقْـدِرْ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَصُومَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ .

ما ترشد إليه هاتانِ الآيتانِ الكريمتانِ :

(١) أَنَّهُ يجِبُ الْتِزَامُ الصِّدْقِ ، وَتَجَنُّبُ الْحَلِفِ ، حَتَّى لَا يَصِيرَ عَادَةً .

(٢) أَنَّ مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنَّهُ لَا يُعَاقِبُهُمْ عَلَى مَا يَجْرِى عَلَى لِسَانِهِمْ مِنَ الْحَلِفِ بِغَيْرِ قَصْدٍ .

الدرس ٦ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
الظَّنُّ	التُّهمَةُ بِلَا دَلِيلٍ .	لا يَغْتَبْ	لَا يَذُمَّ .
إِثْمٌ	ذَنْبٌ .	تَوَّاب	كَثِيرُ الصَّفحِ .
تَجَسَّسُوا	تَبَحَثُوا عَنْ مَعَايِبِ الْمُسْلِمِينَ .		

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ، وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ، إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ * "

[من سورة الحجرات]

المعنى الإِجمالِي

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ آدَابِ الْمُعَامَلَةِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا وَهِيَ :

(١) أَنْ تَتَجَنَّبَ اتِّهَامَ غَيْرِكَ بِتُهَمٍ لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُسِيءُ إِلَى سُمْعَةِ النَّاسِ وَكَرَامَتِهِمْ .

(٢) وَأَلَّا تَبْحَثَ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَتُفَتِّشَ عَنْ أَسْرَارِهِم فَإِنَّ ذَلِكَ فَضِيحَةٌ لَهُمْ ، وَتَعَرُّضٌ مِنكَ لِمَا لَا يَعْنِيكَ .

(٣) أَلَّا تذْكُرَ أَخَاكَ بِمَا يكْرَهُ ، سَوَاءٌ أَكَانَ حَاضِرًا أَمْ غَائِبًا ، فَمَثَلُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَمَنْ يأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ الْمَيِّتِ وَهُوَ أَمْرٌ مُسْتَبْشَعٌ ، تَعَافُهُ النَّفْسُ وَيَنْفِرُ مِنْهُ الطَّبْعُ . فَمَنْ تَحَلَّى بِهَذِهِ الْآدَابِ سَلِمَ مِنْ أَذَى النَّاسِ وَأَحَبُّوهُ ، وَكَانَ فِي مَأْمَنٍ مِنْ عِقَابِ اللهِ ، الَّذِي يَصْفَحُ عَمَّا فَرَطَ مِنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ مَتَى تَابُوا .

مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ :

(١) الْحَثُّ عَلَى اجْتِنَابِ إِسَاءَةِ الظَّنِّ بِالنَّاسِ .

(٢) تَجَنُّبُ الْبَحْثِ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَالتَّفْتِيشِ عَنْ أَسْرَارِهِمْ ، وَذِكْرِهِمْ بِمَا يَكْرَهُونَ .

(٣) أَنَّ مَنِ اغْتَابَ غَيْرَهُ فَقَدْ فَعَلَ مُنْكَرًا قَبِيحًا ، وَكَانَ كَمَنْ أَكَلَ لَحْمَ آدَمِيٍّ مَيِّتٍ .

الدرس ٧ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
اعْتَصِمُوا	تَمَسَّكُوا	أُمَّةٌ	جَمَاعَةٌ
حَبْلِ اللهِ	الْقُرْآنِ وَدِينِ الْإِسْلَامِ	الْمَعْرُوفِ	كُلِّ أَمْرٍ حَسَنٍ
أَلَّفَ	جَمَعَ	الْمُنْكَرِ	كُلِّ أَمْرٍ قَبِيحٍ
شَفَا	حَرْفِ	الْمُفْلِحُونَ	الْفَائِزُونَ
أَنْقَذَكُمْ	نَجَّاكُمْ		

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

(١) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *

(٢) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ، وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ *

[من سورة آل عمران]

المعنى الاجمالى

(١) تَدْعُو هَٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ إِلَى التَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ وَالْعَمَلِ بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ، وَتَنْهَى عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ ، وَتُذَكِّرُ الْمُسْلِمِينَ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ وَتَوْحِيدِ كَلِمَتِهِمْ بِالْإِسْلَامِ ، حَتَّى أَصْبَحُوا إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ يَعْطِفُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَعْدَاءً مُخْتَلِفِينَ، يَفْشُو فِيهِمُ الْقَتْلُ وَالنَّهْبُ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ لِأَنَّهُ سَبَبٌ فِي الْقُوَّةِ وَالنُّفُوذِ ، وَمِنْ أَهَمِّ دَوَاعِي الْمَوَدَّةِ وَالنَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَنَشْرِ الْعَدَالَةِ وَالْعُمْرَانِ . وَلَا كَذَلِكَ تَفَرُّقُ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى اضْمِحْلَالِهَا وَانْحِطَاطِهَا وَطَمَعِ الْأَجْنَبِيِّ فِيهَا .

(٢) وَمِمَّا يُرَقِّي شَأْنَ الْأُمَّةِ وَيُقَلِّلُ الْجَرَائِمَ وَالشُّرُورَ : أَنْ يَقُومَ فَرِيقٌ مِنْ أَبْنَائِهَا الْمُخْلِصِينَ ذَوِي الْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ بِإِرْشَادِ النَّاسِ إِلَى أَعْمَالِ الْخَيْرِ مِنْ مُعَاضَدَةِ الْمَشْرُوعَاتِ الْعَامَّةِ ، وَإِنْشَاءِ الْمُسْتَشْفَيَاتِ ، وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّمَسُّكِ بِفَضَائِلِ الصِّفَاتِ : كَالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالْحَيَاءِ ، وَنَهْيِهِمْ عَنِ الرَّذَائِلِ : كَالْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ وَالسَّرِقَةِ وَالظُّلْمِ ، وَبَيَانِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى الْفَضَائِلِ مِنْ تَقَدُّمِ الْأُمَّةِ وَزِيَادَةِ ثَرْوَتِهَا وَقُوَّتِهَا وَاحْتِرَامِ الْأُمَمِ لَهَا ، وَمَا يَنْشَأُ عَنِ الرَّذَائِلِ مِنَ انْحِطَاطِ الْأَفْرَادِ وَتَدَهْوُرِ أَخْلَاقِ الْأُمَّةِ ، وَتَأَخُّرِهَا فِي مِضْمَارِ الْمُنَافَسَةِ وَاسْتِيلَاءِ غَيْرِهَا عَلَيْهَا .

ما ترشد إليه هاتان الآيتان الكريمتان :

(١) أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ مُتَّحِدِينَ مُؤْتَلِفِينَ لِتَقْوَى شَوْكَتُهُمْ وَيَرْهَبَ الْعَدُوُّ جَانِبَهُمْ .

(٢) أنه يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمَاعَةٌ يُرْشِدُونَ النَّاسَ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ .

الدرس ٨ — معانى المفردات

الكلمة	معناها
قَوامين لِلهِ	مُجِدِّينَ فِى إقَامَةِ الْعَدْلِ .
الْقِسْطِ	الْعَدْلِ .
يَجْرِمَنَّكُمْ	يَحْمِلَنَّكُمْ .
شَنَئَانُ	بُغْضُ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ، ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ، إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ * "

[من سورة المائدة]

المعنى الاجمالى

يَأْمُرُ اللّٰهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤَدُّوا حُقُوقَ اللّٰهِ وَحُقُوقَ النَّاسِ ، وَأَنْ يلْتَزِمُوا الْحَقَّ وَالصِّدْقَ فِي الشَّهَادَةِ ولَوْ عَلَى أَقْرِبَائِهِمْ ، وَلَا يَحْمِلَهُمْ بُغْضُ إِنْسَانٍ عَلَى ظُلْمِهِ ، أَوْ تَغْيِيرِ الشَّهَادَةِ فِي حَقّهِ فإِنَّ ذٰلِكَ يَقِيهِمْ غَضَبَ ٱللّٰهِ وَٱنْتِقَامَهُ، وَٱللّٰهُ عَالِمٌ بِمَا يَفْعَلهُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ ظُلْمٍ وعَدْلٍ ، وَسَيُحَاسِبُهُ عَلَى ذٰلِكَ .

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة :

(١) أَنَّ عَلَى الشَّاهِدِ أَنْ يُؤَدِّيَ شَهَادَتَهُ كَمَا رَأَى وَسَمِعَ .

(٢) أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَحْمِلَهُ الْبُغْضُ أَوِ الْهَوَى عَلَى الظُّلْمِ أَوِ الْكَذِبِ فِي الشَّهَادَةِ .

(٣) أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ النَّاسِ أَمَامَ الْقَاضِي وَالْحَاكِمِ مُتَسَاوِينَ ، لَا فَرْقَ بَيْنَ غَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ ، وَقَرِيبِهِمْ وَبَعِيدِهِمْ .

الدرس ٩ — معانى المفردات

معناها	الـكلمة
الدَّائِمُ الْقِيَامِ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ وَحِفْظِهِمْ .	الْقَيُّومُ
نُعَاسٌ .	سِنَةٌ
عِلْمُـهُ .	كُرْسِيُّهُ
يُعجِزُهُ ويُثْقِلُ عَلَيْهِ .	يَئُودُهُ
الْمُتَعَالِي عَنِ الشَّبِيهِ وَالْمَـثِيلِ .	الْعَلِيُّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

" ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ، مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ " *

[من سورة البقرة]

المعنى الاجمالى

أَنَّ الْمُسْتَحِقَّ لِلْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ لَهُ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ ، لَا يَلْحَقُهُ مَوْتٌ ، وَلَا فَنَاءٌ بَلْ هُوَ حَيٌّ بَاقٍ ، قَائِمٌ عَلَى تَدْبِيرِ الْخَلْقِ وَحِفْظِهِمْ ، لَا يَعْتَرِيهِ نَوْمٌ وَلَا نُعَاسٌ مِنْ ضَعْفٍ أَوْ فُتُورٍ لِأَنَّهُ قَوِيٌّ لَا يَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ ، وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ — مَا خَفِيَ مِنْهَا وَمَاظَهَرَ — مِلْكٌ لَهُ ، يَتَصَرَّفُ فِيهَا كَيْفَ يَشَاءُ ، لَا يَرُدُّ حُكْمَهُ شَفِيعٌ ، وَلَا يَجْرُؤُ عَلَى الشَّفَاعَةِ لَدَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا إِذَا أَذِنَ لَهُ . وَهُوَ عَالِمٌ بِمَكْنُونَاتِ الْأُمُورِ ، لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ شَيْئاً مِنْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَمَشِيئَتِهِ ، أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ حِفْظُهُمَا عَلَى مَا هُمَا عَلَيْهِ مِنَ النِّظَامِ وَالْإِحْكَامِ وَهُوَ الرَّفِيعُ الشَّأْنِ ، الْعَظِيمُ الْمُلْكِ .

ما ترشد إليه هذه الآية الكريمة :

(١) أَنَّ اللهَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ ، لِأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ لِشُئُونِ عِبَادِهِ ، الْمُحِيطُ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، الْمَوْصُوفُ بِكُلِّ كَمَالٍ .

(٢) لَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى الشَّفَاعَةِ عِنْدَهُ لِلْمُذْنِبِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِإِذْنِهِ تَعَالَى .

الدرس ١٠ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
عَمَدٍ	أَعْمِدَةٍ	رَوَاسِىَ	جِبالاً ثابِتَةً
اسْتَوَى	اسْتَوْلَى	زَوْجَيْنِ	صِنْفَيْنِ ذَكَراً وَأُنْثَى
الْعَرْشِ	الْمُلْك	يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ	يُحِلُّه مَحَلَّه
سَخَّرَ	هَيَّأَ وَذَلَّلَ	صِنْوَانٌ	أَصْلُهَا وَاحِدٌ
يُدَبِّرُ الْأَمْرَ	يَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ	الْأُكُل	الثَّمَر
يُفَصِّلُ	يُوَضِّحُ	الْأَغْلَالُ	الْأَطْوَاقُ
تُوقِنُونَ	تَعْتَقِدُونَ		
مَدَّ	بَسَطَ		

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

" ٱللهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَـدٍ تَرَوْنَهَا ، ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ، وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ، يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّـكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰراً ، وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَـلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ، يُغْشِى ٱلَّيْـلَ ٱلنَّهَارَ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَـكَّرُونَ * وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ ، وَزَرْعٌ وَنَخِيـلٌ ، صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ، يُسْقَىٰ بِمَـآءٍ وَٰحِدٍ ، وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ : أَءِذَا كُنَّا تُرَٰباً أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ، أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِـمْ ، وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِى أَعْنَاقِهِمْ ، وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّـارِ هُمْ فِيهَـا خَـٰلِدُونَ *

[من سورة الرعد]

المعنى الإجمالى

مَنْ تَأَمَّلَ فِيمَا يُحِيطُ بِهِ وَجَدَ نِظَاماً عَجِيباً :

(١) فَالسَّموَاتُ قَدْ رُفِعَتْ فَوْقَ رُءُوسِنَا مِنْ غَيْرِ أَعْمِدَةٍ تَحْمِلُهَا سِوَى قُدْرَةِ ٱللّٰهِ تَعَالَى ، وَفِيهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَسَائِرُ الْكَوَاكِبِ عَلَى أَبْعَادٍ ثَابِتَةٍ وَأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ .

(٢) وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ كُلَّ يَوْمٍ فِى الصَّبَاحِ ، وَتَغْرُبُ فِى الْمَسَاءِ، وَالْقَمَرُ يَبْدُو أَوَّلَ الشَّهْرِ صَغِيراً ثُمَّ يَتَكَامَلُ حَتَّى يَصِيرَ بَدْرًا ، ثُمَّ يَأْخُذُ فِى التَّنَاقُصِ حَتَّى يَخْتَفِى آخِرَ الشَّهْرِ لِيَبْدَأَ أَوَّلَ الشَّهْرِ التَّالِى كَمَا بَدَأَ فِيمَا قَبْلَهُ ، وَهٰكَذَا مِنْ غَيْرِ ٱخْتِلَافٍ وَلَا تَأْخِيرٍ ، وَكِلَاهُمَا مُسَخَّرٌ لِمَصْلَحَتِنَا مِنْ إِنْضَاجِ الزَّرْعِ ، وَإِصْلَاحِ الْهَوَاءِ ، وَقَتْلِ الْجَرَاثِيمِ ،وَالِاهْتِدَاءِ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ .

(٣) وَالْأَرْضُ مُمَهَّدَةٌ لِلسَّيْرِ وَالزَّرْعِ وَالنَّوْمِ ، قَدْ وُضِعَتْ فِيهَا الْجِبَالُ لِتَحْفَظَهَا مِنَ الْمَيْلِ وَالِاضْطِرَابِ ، وَتُؤْخَذُ مِنْهَا

الأَحْجَارُ وَالْمعَادِنُ ، وَتَنْزِلَ عَلَيْهَا الْأَمْطَارُ فَتكُونَ مَنَابِعَ الْأَنْهَارِ لِسَقْيِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَالزُّرُوعِ .

(٤) وَالثِّمَارُ لِكُلٍّ مِنْهَا صِنْفَانِ : ذَكَرٌ وَأُنْثَى تَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا الْفَاكِهَةُ .

(٥) وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَأْتِي كُلٌّ مِنْهُمَا بَعْدَ الْآخَرِ بِدُونِ تَغْيِيرٍ وَلَا اخْتِلَالٍ .

(٦) وَفِي الْأَرْضِ أَجْزَاءٌ مُتَجَاوِرَةٌ، وَلٰكِنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ فِي الْمَعْدِنِ: فَمِنْهَا الْخِصْبُ وَمِنْهَا السَّبِخُ ، وَمِنْهَا الرِّخْوُ وَمِنْهَا الصُّلْبُ وَفِيهَا الْحَدَائِقُ ذَاتُ الْفَوَاكِهِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالطُّعُومِ وَالرَّوَائِحِ: فَمِنْهَا الْحُلْوُ وَمِنْهَا الْحَامِضُ ، وَتَمْتَصُّ غِذَاءَهَا مِنْ تُرْبَةٍ وَاحِدَةٍ وَتُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَكُلُّ نَوْعٍ يَأْخُذُ غِذَاءَهُ الْمُنَاسِبَ فَكُلُّ هٰذِهِ الْخَوَاصِّ وَالطَّبَائِعِ وَالنِّظَامِ الثَّابِتِ الْمُحْكَمِ يَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ .

فَمِنَ الجَهْلِ أَنْ يَسْتَبْعِدَ أَحَدٌ إِحْيَاءَ اللهِ النَّاسَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، وَأَمَامَ أَبْصَارِنَا إِخْرَاجُ النَّبَاتِ الحَىِّ مِنَ الْأَرْضِ المَيْتَةِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِى يُنْكِرُ ذَلِكَ وَيُكَابِرُ فِيهِ كَافِرٌ بِقُدْرَةِ اللهِ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُخَلَّدَ فِى النَّارِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ .

الدرس ١١ — معانى المفردات

الكلمة	معناها
يَسْلُبُ	يَأْخُذُ كُرْهًا .
لَا يَسْتَنْقِذُ	لَا يَسْتَرِدُّ .
قَدَرُوا	عَظَّمُوا .
يَصْطَفِى	يَخْتَارُ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ، وَإِن

يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ، إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ *

(٢) ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ، إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * ".

[من سورة الحج]

المعنى الإجمالى

(١) يبيِّنُ اللهُ تعالَى أَنَّ الإلَهَ الَّذِى يَنْبَغِى أَنْ يُعْبَدَ هُوَ الَّذِى يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ كُلِّ شَىْءٍ ، وَتِلْكَ صِفَةُ اللهِ وَحْدَهُ الْقَوِىِّ الْعَزِيزِ ، أَمَّا الْأَصْنَامُ الَّتِى كَانَ يَعْبُدُهَا الْكُفَّارُ فَإِنَّهَا عَاجِزَةٌ عَنْ أَنْ تَخْلُقَ كَائِنًا وَلَوْ حَقِيرًا كَالذُّبَابِ ، بَلْ إِنَّ الذُّبَابَ لَوْ سَلَبَ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ لَا تَسْتَطِيعُ الْأَصْنَامُ أَنْ تَسْتَرِدَّهُ، فَكِلَاهُمَا ضَعِيفٌ عَاجِزٌ.

(٢) وَأَمَّا اللهُ تعَالَى فهُوَ الْمُنْفَرِدُ بِخَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ كُلِّهِ، وَلَهُ رُسُلٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُبَلِّغُونَ مَا يُرِيدُ تَبْلِيغَهُ لِلْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَخْتَارُهُمْ مِنْ خَيْرِ عِبَادِهِ لِيُرْشِدُوا النَّاسَ إِلَى مَا يَنْفَعُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ مِنْهُمْ وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ .

فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعَظِّمُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَيُؤَدُّوا مَا فَرَضَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ ، وَأَلَّا يَتَوَانَوْا فِي فِعْلِ الْخَيْرِ حَتَّى يَكُونُوا مِنَ الْفَائِزِينَ .

ما ترشد إليه هذه الآيات الكريمة :

(١) أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْقَوِيُّ الْقَادِرُ، وَمَا سِوَاهُ عَاجِزٌ ضَعِيفٌ — فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلْعِبَادَةِ .

(٢) أَنَّ اللهَ اخْتَارَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ رُسُلًا إِلَى أَنْبِيَائِهِ، وَاخْتَارَ مِنَ النَّاسِ رُسُلًا كَامِلِينَ لِهِدَايَةِ عِبَادِهِ .

(٣) أَنَّ اللهَ يَحُثُّنَا عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَفِعْلِ الطَّاعَاتِ .

الدرس ١٢ — معانى الكلمات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
إِمْلَاقٍ	فَقْرٍ	بِعَهْدِ ٱللهِ	بِمَا أَمَرَ بِهِ
الْفَوَاحِشَ	كَبَائِرُ الذُّنُوب	أَوْفُوا	أَدُّوا
وَصَّاكُمْ	أَمَرَكُمْ	تَذَكَّرُونَ	تَتَّعِظُونَ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	بِمَا يُنَمِّيهِ	صِرَاطِي	شَرِيعَتِي
أَشُدَّهُ	رُشْدَهُ	السُّبُلَ	الْأَدْيَانَ الْمُخْتَلِفَةَ
بِالْقِسْطِ	بِالْعَدْلِ	فَتَفَرَّقَ بِكُمْ	تُبْعِدَكُمْ
وُسْعَهَا	مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ	سَبِيلِهِ	الْإِسْلَامِ

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

"قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ : أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْئًا ،
وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ، وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وَإِيَّاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا تَقْتُلُوا

ٱلنَّفسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ، ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ، وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ، لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ، ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا. فَٱتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ، ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * "

[من سورة الأنعام]

المعنى الإجمالى

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى أَهَمِّ أَرْكَانِ الْعَقَائِدِ ، وَالْفَضَائِلِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَسَاسُ الْمَدَنِيَّةِ الصَّحِيحَةِ وَهِيَ :

(١) عَدَمُ الْإِشْرَاكِ بِاللهِ ، وَذَلِكَ أَصْلُ كُلِّ فَضِيلَةٍ .

(٢) بِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَفَاءً بِمَا قَامَا بِهِ لِلأَبْنَاءِ فِي حَالِ الصِّغَرِ .

(٣) اجْتِنَابُ قَتْلِ الْأَوْلَادِ مِنْ أَجْلِ الْفَقْرِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُنَافِي حُسْنَ الثِّقَةِ بِاللهِ تَعَالَى ، وَالِاعْتِمَادَ عَلَيْهِ .

(٤) الِابْتِعَادُ عَنِ ارْتِكَابِ الْكَبَائِرِ وَالْمَعَاصِي – ظَاهِرِهَا وَخَفِيِّهَا – كَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَالسَّرِقَةِ وَشَهَادَةِ الزُّورِ وَالْحَسَدِ ، وَإِضْمَارِ السُّوءِ لِلنَّاسِ .

(٥) اجْتِنَابُ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَالِاعْتِدَاءِ عَلَى الْأَرْوَاحِ الْبَرِيئَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى انْتِشَارِ الْفَوْضَى ، وَاضْطِرَابِ الْأَمْنِ وَاسْتِيلَاءِ الْفَزَعِ عَلَى الْقُلُوبِ .

(٦) الْمُحَافَظَةُ عَلَى أَمْوَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّعَفُّفُ عَنِ الْأَخْذِ مِنْهَا. وَبَذْلُ الْجُهْدِ فِي صَوْنِهَا وَتَنْمِيَتِهَا ، لِأَنَّ الْيَتِيمَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى مَالٍ يَقِيهِ بُؤْسَ الْحَيَاةِ وَيُخَفِّفُ عَنْهُ ذُلَّ الْيُتْمِ .

(٧) إِيفَاءُ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ ، وَإِعْطَاءُ ذَوِي الْحُقُوقِ حُقُوقَهُمْ كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ ، لِأَنَّ الْتِزَامَ الْعَدْلِ فِي الْمُعَامَلَاتِ يَغْرِسُ الْمَوَدَّةَ ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَيَنْشُرُ الثِّقَةَ بَيْنَ النَّاسِ.

ما ترشد إليه هذه الآيات الكريمة :

(١) أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ .

(٢) أَنْ نُحْسِنَ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَنَقُومَ بِبِرِّهِمَا .

(٣) أَنْ نَجْتَنِبَ سَفْكَ الدِّمَاءِ وَارْتِكَابَ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ .

(٤) أَنْ نُحَافِظَ عَلَى أَمْوَالِ الْيَتَامَى ، وَأَنْ نُوفِيَ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَنُعْطِيَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .

الدرس ١٣ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
طَيِّبَاتٍ	حَلَالٍ	عَادٍ	مُتَجَاوِزٍ قَدْرَ الْحَاجَةِ
أُهِلَّ	سُمِّيَ	اضْطُرَّ	أُكْرِهَ
بَاغٍ	قَاصِدٍ التَّلَذُّذَ		

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ، فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ، إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *"

[من سورة البقرة]

المعنى الإجمالى

أَبَاحَ لَنَا اللهُ تَعَالَى كُلَّ مُفِيدٍ نَافِعٍ ، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا كُلَّ ضَارٍّ ، فَمِمَّا أَبَاحَهُ لَنَا لُحُومُ بَعْضِ الْحَيَوَانِ كَالْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالدَّجَاجِ ، وَمَا تُنْبِتُهُ الْأَرْضُ مِنَ الْقَمْحِ وَالْأُرْزِ وَالْفَاكِهَةِ . وَمِمَّا حَرَّمَهُ عَلَيْنَا : الْمَيْتَةُ ، فَلَا يَجُوزُ أَكْلُ لَحْمِهَا

وَلَا ٱلِانْتِفَاعُ بِهَا ، وَكَذَا الدَّمُ لَا يَحِلُّ تَنَاوُلُهُ . وَلَحْمُ ٱلْخِنْزِيرِ كَذٰلِكَ ، وَقَدْ أَثْبَتَ الطِّبُّ أَنَّ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ ضَارَّةٌ تُسَبِّبُ بَعْضَ الْأَمْرَاضِ . وَمِمَّا حَرَّمَهُ أَيْضًا مَا ذُكِرَ ٱسْمُ غَيْرِ ٱللّٰهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ . غَيْرَ أَنَّ مَنْ أَحْوَجَتْهُ مَجَاعَةٌ أَوْ أُكْرِهَ بِالْقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ عَلَى تَنَاوُلِ شَيْءٍ مِنْهَا لِسَدِّ حَاجَتِهِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ عَنْهُ ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ وَلَا ذَنْبَ فِيمَا يَأْكُلُ ، بِشَرْطِ أَلَّا يَقْصِدَ التَّلَذُّذَ وَلَا يَزِيدَ عَلَى قَدْرِ مَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْهَلَاكَ ؛ فَإِنَّ اللّٰهَ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ لَا يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا اضْطُرُّوا إِلَيْهِ .

ما ترشد إليه هاتان الآيتان الكريمتان :

(١) أَنْ نُمَتِّعَ أَنْفُسَنَا بِمَا أَبَاحَهُ اللّٰهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالْحَلَالِ وَنَشْكُرَهُ عَلَى نِعَمِهِ .

(٢) أَن نَجْتَنِبَ الْمُحَرَّمَاتِ إِلَّا إِذَا أَلْجَأَتْنَا الضَّرُورَةُ .

الدرس ١٤ — معانى المفردات

الكلمة	معناها
اتَّقَيْتُنَّ	خِفْتُنَّ عذَابَ اللهِ .
لَا تَخْضَعن بِالْقَوْلِ	لَا يَكُن قَوْلُكُنَّ لَيِّنًا فِيهِ رِيبَةٌ .
مَرَضٌ	طَمَعٌ وفُجُورٌ .
مَعْرُوفًا	حَسَنًا بَعِيدًا عَنِ الرِّيبَةِ .
قَرْنَ	الْزَمْنَ .
لَا تَبَرَّجْنَ	لَا تُظْهِرْنَ زِينَتَكُنَّ لِلْأَجَانِبِ .
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى	مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّاسُ قَبلَ الْإِسْلَامِ .
الرِّجْسَ	مَا يُلَوِّثُ الشَّرَفَ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

" يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ، إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ ، فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ، وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ

ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ ، وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا * وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا * "

[من سورة الأحزاب]

المعنى الإجمالى

تُرْشِدُ هٰذِهِ الآيَاتُ إلى بَيَانِ أَكْمَلِ الْآدَابِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَتَخَلَّقَ بِهَا نِسَاءُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَيْرُ قُدْوَةٍ لِنِسَائِهِمْ . فَأَمَرَهُنَّ بِمَا يَأْتِي :

(١) أَنْ يَجْتَنِبْنَ فِى كَلَامِهِنَّ اللِّينَ الْمُرِيبَ الَّذِى يُطْمِعُ ذَوِى النُّفُوسِ الْخَبِيثَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ حَدِيثُهُنَّ حَسَنًا لَا جَفْوَةَ فِيهِ .

(٢) وَأَنْ يَلْزَمْنَ بيوتَهُنَّ فَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ دِينِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ تَسْتَدْعِى خُرُوجَهُنَّ ، كَتَأْدِيَةِ الصَّلَوَاتِ وَزِيَارَةِ الْوَالِدَيْنِ، وَحُضُورِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ .

(٣) وَأَلَّا يُظْهِرْنَ مَحَاسِنَهُنَّ وَزِينَتَهُنَّ مَنْعًا لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذٰلِكَ مِنَ الْمَضَارِّ وَالْمَفَاسِدِ .

(٤) وَأَنْ يُقِمْنَ الصَّلَاةَ فِى أَوْقَاتِهَا ، وَيُؤَدِّينَ الزَّكَاةَ لِمُسْتَحِقِّيهَا وَيُطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ فِى أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ .

كُلُّ ذٰلِكَ لِيَرْفَعَ مِنْ قَدْرِهِنَّ ، وَيَحُولَ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ مَا يَسْتَوْجِبُ غَضَبَ اللهِ وَرَسُولِهِ .

(٥) أَنْ يَنْتَفِعْنَ بِمَا فِى الْقُرْآنِ مِنْ أَحْكَامٍ وَآدَابٍ .

مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ هٰذِهِ الْآيَاتُ :

(١) أَنْ يَلْتَزِمَ النِّسَاءُ حُدُودَ الْآدَابِ الدِّينِيَّةِ .

(٢) أَنْ يَمْتَنِعْنَ عَنِ التَّبَرُّجِ وَالْخُرُوجِ إِلَى الْأَسْوَاقِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ .

الدرس ١٥ — معانى المفردات

الكلمة	معناها
تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ	تُحَدِّثُهُ
حَبْلِ الْوَرِيدِ	الْعِرْقِ الَّذِى هُوَ مَجْرَى الدَّمِ
الْمُتَلَقِّيَانِ	الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ يَكْتُبَانِ مَا يَحْصُلُ مِنَ الْإِنْسَانِ
قَعِيدٌ	مَلَكٌ جَالِسٌ
رَقِيبٌ	مُرَاقِبٌ
عَتِيدٌ	حَاضِرٌ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ	شِدَّتُهُ

الكلمة	معناها
تَحِيدُ	تَفِرُّ
نُفِخَ فِى الصُّورِ	الصُّورُ الْبُوقُ وَالْمُرَادُ نَفْخَةُ الْبَعْثِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ
الوَعِيدُ	التَّخْوِيفُ وَالْجَزَاءُ
سَائِقٌ	مَلَكٌ يَسُوقُهَا
شَهِيدٌ	مَلَكٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا
غَفْلَةٍ	اشْتِغَالٌ عَنِ الْآخِرَةِ
حَدِيدٌ	حَادٌّ قَوِىٌّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

" وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ، ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ، ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ * وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ * "

[من سورة ق]

المعنى الإجمالى

(١) خَلَقَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِنْسَانَ وَيَعْلَمُ مَا يَجُولُ بِنَفْسِهِ مِنَ الْأَفْكَارِ ، وَمَهْمَا حَاوَلَ إِخْفَاءَ مَا يَعْمَلُهُ أَوْ مَا تُكِنُّهُ نَفْسُهُ ، فَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ مَجَارِى الدَّمِ فِى جِسْمِهِ .

(٢) وَقَدْ وَكَّلَ ٱللهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يُحْصِيَانِ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ ، وَهُمَا حَاضِرَانِ لَا يَغِيبَانِ وَلَا يَفْتُرَانِ ، أَمِينَانِ لَا يَزِيدَانِ وَلَا يَنْقُصَانِ .

(٣) فَإِذَا أَرَادَ اللهُ إِحْيَاءَ الْخَلَائِقِ لِيَجْزِيَهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، أَمَرَ الْمَلَكَ فَنَفَخَ فِي الْبُوقِ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ كَانَا مُوَكَّلَيْنِ بِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَكِتَابُهُ الَّذِي أُحْصِيَتْ فِيهِ أَعْمَالُهُ ، وَلَا يَجِدُ مِنْ حَوْلِهِ مَا كَانَ يَشْغَلُهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ وَظِيفَةٍ فَتَعْرُوهُ النَّدَامَةُ عَلَى مَا أَضَاعَ مِنْ عُمْرِهِ فِي إِطَاعَةِ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ وَمُخَالَفَةِ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ ، وَيُفِيقُ مِنْ غَفْلَتِهِ ،وَيَكْشِفُ اللهُ مَا كَانَ خَافِيًا مِنْ سَيِّئَاتِهِ فَيَرَى قُبْحَهَا بِبَصَرٍ قَوِيٍّ .

ما ترشد إليه هذه الآيات :

(١) أَنَّ اللّٰهَ عالِمٌ بِجَمِيعِ مَا نَعْمَلُهُ مَهْمَا كَانَ خَفِيًّا .

(٢) أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ كُلَّ مَا يَصْدُرُ مِنْهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .

(٣) أَنَّ الْإِنْسَانَ مُحَاسَبٌ عَلَى هٰذِهِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَة .

الدرس ١٦ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
لَا يَجْزِى	لَا يُغْنِي	الْغَرُورُ	الشَّيْطَانُ — الدنيَا
وَعْدَ اللّٰه	ثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ	عِلْمُ السَّاعَةِ	وَقْتُ الْقِيَامَةِ
لَا تَغُرَّنَّكُمْ	لَا تَخْدَعَنَّكُمْ	الْغَيْثَ	الْمَطَرَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ، وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ، إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ

حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ *
إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ
مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِى
نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ * "

[من سورة لقمان]

المعنى الإجمالى

يُنَبِّئُنَا ٱللَّهُ سُبْحَانَه وَتَعَالَى :

(١) أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدْ بَلَغَ مِنْ هَوْلِهِ وَشِدَّةِ الْفَزَعِ فِيهِ أَنَّ الْوَالِدَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَدِّمَ فِيهِ الْمَعُونَةَ لِوَلَدِهِ ، وَأَنَّ الْوَلَدَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ وَالِدِهِ أَىَّ أَذًى ، لِٱشْتِغَالِ كُلِّ ٱمْرِئٍ بِنَفْسِهِ " يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ " .

(٢) أَنَّ مَا وَعَدَ اللهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَوْعَدَ بِهِ الْعُصَاةَ وَالْكَافِرِينَ لَابُدَّ وَاقِعٌ ، فَوَاجِبٌ أَلَّا يَغْتَرَّ إِنْسَانٌ بِمَالِهِ أَوْ بِجَاهِهِ فَيَنْسَى آخِرَتَهُ .

(٣) وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى انْفَرَدَ بِعِلْمِ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ وَهِيَ :

وَقْتُ قِيَامِ السَّاعَةِ ، وَنُزُولُ الْمَطَرِ ، وَمَا تُكِنُّهُ الْأَرْحَامُ ، وَمَا سَيَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ فِي غَدِهِ ، وَفِي أَيِّ الْبِلَادِ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ .

ما ترشد إليه هاتان الآيتان :

(١) أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَا قَدَّمَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .

(٢) أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى انْفَرَدَ بِعِلْمِ الْغَيْبِ ، فَلَا تُصَدِّقِ الْمُنَجِّمِينَ وَلَا الدَّجَّالِينَ .

(ب) يَتْلُو التَّلَامِيذُ الآيَاتِ الآتِيَةَ بَعْدَ تَفْسِيرِهَا :

الدرس ١ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
مَوْتِهَا	جَدْبِهَا	أَوْحَى	أَلْهَمَ
عِبْرَةً	إِرْشَادا ومَوْعِظَةً	يَعْرِشُونَ	يَتَّخِذُونَ سُقُوفاً
فَرْثٍ	ثُفْلِ طَعَامٍ مَهْضُومٍ	سُبُلَ	طُرُق
سَائِغاً	سَهْلَ الِابْتِلَاعِ	ذُلُلا	مُمَهَّدَةً
سَكَراً	مَادَّةً حُلْوَةً	شَرَابٌ	عَسَلٌ

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

"وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ،
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ
لَعِبْرَةً ، نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا
خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ * وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ

تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ، فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ، فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * ” .

[من سورة النحل]

المعنى الإجمالى

يُوَجِّهُ اللهُ تَعَالَى أَنْظَارَنَا إِلَى الأُمُورِ الآتِيَةِ لِمَا فِيهَا مِن تَعْلِيمٍ وَإِرْشَادٍ :

(١) الْمَطَرُ الَّذِى يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ الْقَاحِلَةِ فَيَخْضَرُّ وَجْهُهَا بِالنَّبَاتِ .

(٢) الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ ، تَأْكُلُ أَنْوَاعَ الْعَلَفِ مِنْ حَشِيشٍ وَفُولٍ وَشَعِيرٍ فَتَهْضِمُهُ وَتُحِيلُهُ بِقُدْرَةِ اللهِ لَبَنًا نَقِيًّا مُغَذِّيًا غَيْرَ مُلَوَّثٍ بِدَمٍ أَوْ فَرْثٍ .

(٣) مَا يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْبَلَحِ وَالْعِنَبِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَلْوَى ، كَأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ وَالْمُرَبَّيَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ .

(٤) النَّحْلُ : يَقَعُ عَلَى الْأَزْهَارِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، فَيَمْتَصُّ مِنْهَا مَا يَجْعَلُهُ عَسَلًا شَهِيًّا ، فِيهِ شِفَاءٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ . وَأَلْهَمَهَا اللهُ تَعَالَى أَنْ تَبْنِيَ بُيُوتَهَا عَلَى أَشْكَالٍ سُدَاسِيَّةٍ مُنْتَظِمَةٍ مُغَطَّاةٍ بِغِشَاءٍ رَقِيقٍ حَتَّى لَا يَصِلَ الْهَوَاءُ إِلَى الْعَسَلِ فَيُجَفِّفَهُ .

فَفِي هٰذَا كُلِّهِ مَا يُوجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَدْرُسَ النَّبَاتَ وَالْحَيَوَانَ لِنَعْرِفَ مَا أَوْدَعَهُ اللهُ كُلَّ نَوْعٍ مِنَ الْخَوَاصِّ وَالْمَنَافِعِ .

ما ترشد إليه هذه الآيات :

(١) أَنَّ اللهَ تَامُّ الْقُدْرَةِ ، فَقَدْ أَخْرَجَ لَنَا اللَّبَنَ مِنْ بَيْنِ الْفَرْثِ وَالدَّمِ ، وَالثِّمَارَ مِنَ التُّرَابِ ، وَالْعَسَلَ الشَّهِيَّ مِنَ الزَّهْرِ

(٢) أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَدْرُسَ خَوَاصَّ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ لِنَعْرِفَ اللّٰهَ تَعَالَى حَقَّ الْمَعْرِفَةِ .

الدرس ٢ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
سُبْحَانَ اللّٰهِ	أَثْنُوا عَلَيْهِ وَنَزِّهُوهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ	ابْتِغَاؤُكُمْ	طَلَبُكُمُ الرِّزْقَ
		يَعْقِلُونَ	يَفْهَمُونَ
تُمْسُونَ	يَحِلُّ بِكُمُ الْمَسَاء	تَقُومَ	تَسْتَقِرَّ
عَشِيًّا	آخِرَ النَّهَارِ	قَانِتُونَ	خَاضِعُونَ مُطِيعُونَ
تُظْهِرُونَ	تَدْخُلُونَ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ	الْمَثَلُ الْأَعْلَى	الْوَصْفُ الْكَامِلُ
تَنْتَشِرُونَ	تَتَفَرَّقُونَ	الْعَزِيزُ	التَّامُّ الْقُدْرَةِ
لِتَسْكُنُوا	لِتَسْتَرِيحُوا وَتَأْنَسُوا	الْحَكِيمُ	الْمُدَبِّرُ شُئُونَ الْعَالَمِ بِحِكْمَتِهِ
آيَاتِهِ	دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ		
أَلْسِنَتِكُمْ	لُغَاتِكُمْ		

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

" فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ * وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ * يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ
مِنَ ٱلۡمَيِّتِ ، وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ، وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ
مَوۡتِهَا ، وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ * وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ
ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ * وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ
أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا ، وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً ،
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ، وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ ، إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ * وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ *
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ

يَعْقِلُونَ * وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * ".

[من سورة الروم]

المعنى الإجمالى

يَأْمُرُنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنْ نُدَاوِمَ عَلَى تَعْظِيمِه فِى أَوَّلِ النَّهَارِ وَوَسَطِهِ وَآخِرِهِ ، فَإِنَّهُ عَظِيمُ الْقُدْرَةِ ، يُخْرِجُ الطَّائِرَ مِنَ الْبَيْضَةِ وَالْبَيْضَةَ مِنَ الطَّائِرِ ، وَيُزَيِّنُ الْأَرْضَ بِأَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَالزَّهْرِ بَعْدَ يُبْسِهَا ، وَكَذَلِكَ يُحْيِي الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ .

وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ أَنَّهُ كَوَّنَ الْإِنْسَانَ الْعَاقِلَ الْمُفَكِّرَ مِنَ الدَّمِ الَّذِى يَتَكَوَّنُ مِنَ النَّبَاتِ ، وَالنَّبَاتُ مُكَوَّنٌ مِنَ التُّرَابِ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ خَلَقَ النِّسَاءَ لِيَحْصُلَ بِزَوَاجِهِنَّ الِائْتِنَاسُ وَالْمَوَدَّةُ وَالْمُعَاشَرَةُ الْحَسَنَةُ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا مِنْ جَمَادٍ وَنَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ وَكَوَاكِبَ عَلَى أَتْقَنِ صُنْعٍ وَأَحْكَمِ نِظَامٍ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ النَّاسَ وَجَعَلَهُمْ مُخْتَلِفِينَ فِي أَشْكَالِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ ، وَوَجَّهَ الْأَنْظَارَ إِلَى الْبَحْثِ فِي أَسْبَابِ الِاخْتِلَافِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى تَمَامِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى .

وَمِنْهَا أَنَّهُ خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَجَعَلَ الْأَوَّلَ لِلرَّاحَةِ وَالنَّوْمِ وَالثَّانِي لِلْعَمَلِ وَالسَّعْيِ عَلَى الرِّزْقِ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ يُرِينَا الْبَرْقَ لِيُخَوِّفَنَا بِالصَّوَاعِقِ ، وَيُطْمِعَنَا فِي الْمَطَرِ الَّذِي عَلَيْهِ حَيَاةُ الْمَخْلُوقَاتِ ، ثُمَّ يُنَزِّلُ الْمَطَرَ عَلَى الْأَرْضِ فَتُنْبِتُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ قَاحِلَةً ، وَتَخْضَرُّ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ يَابِسَةً .

وَمِنْهَا أَنَّهُ جَعَلَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ قَائِمَتَيْنِ بِغَيْرِ عَمَدٍ " وَهُوَ ٱلَّذِي يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا "

وَمِنْهَا أَنَّهُ تعالى يبْعَثُ النَّاسَ يوْمَ الْقِيامَةِ لِلحِسَابِ وَالْجَزَاءِ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيُعِيدُ الخَلْقَ كَمَا بَدَأَهُ ، وَهُوَ أَمْرٌ يَسِيرٌ هَيِّنٌ ، لِأَنَّ مَنْ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ لَا عَلَى مِثَالٍ سَبَقَ أَقْدَرُ عَلَى إِعَادَتِهَا بَعْدَ تَفَرُّقِ أَجْزَائِهَا ، وَلَهُ وَحْدَهُ الصِّفَاتُ الْعُلْيَا الَّتِي لَا يُمَاثِلُهُ فِيهَا أَحَدٌ ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الْقَادِرُ الْمُدَبِّرُ شُئُونَ الْعَالَمِ بِحِكْمَتِهِ .

ما ترشد إليه هذه الآيات :

(١) أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَشْكُرَ اللهَ تَعَالَى فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ عَلَى مَا أَسْبَغَ عَلَيْنَا مِنَ النِّعَمِ .

(٢) أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ .

(٣) أَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ آيَاتٍ تَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَإِحْكَامِ صُنْعِهِ .

الدرس ٣ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
آية	عبرة وبرهان	العرجون	العود الذى عليه الشماريخ
الميتة	اليابسة		
فجرنا	شققنا	فلك	مدار
الأزواج	الأنواع	يسبحون	يسيرون فيه
نسلخ	نزيل ونكشف	الفلك المشحون	السفن المملوءة
مستقر	حد معين	صريخ	مغيث
منازل	مراحل	متاعا	تمتيعا وانتفاعا
عاد	صار	حين	زمن معين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا
حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ،

وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ ، وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ، أَفَلَا يَشْكُرُونَ *

(٢) سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ *

(٣) وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ، ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ *

(٤) لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ، وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ *

(٥) وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ * "

[من سورة يس]

المعنى الإجمالى

(١) مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْمَوَاعِظِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى تِلْكَ الْأَرْضُ الْيَابِسَةُ ، أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا زَرْعًا وَشَجَرًا فَكَانَ الْحَبُّ وَالشَّجَرُ وَالْبَسَاتِينُ وَالْفَاكِهَةُ وَالنَّخِيلُ وَالْعِنَبُ ، وَفَتَّحَ سُبْحَانَهُ عُيُونَ الْمَاءِ مِنَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ لِيَأْكُلَ النَّاسُ أَنْوَاعَ الثِّمَارِ وَيَتَمَتَّعُوا بِمَا يُتَّخَذُ مِنْهَا كَالشَّرَابِ وَالْمُرَبَّى ، وَلِيَشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ .

(٢) وَمِنَ الْوَاجِبِ عَلَى النَّاسِ أَنْ يُعَظِّمُوا الْإِلٰهَ الْقَادِرَ الَّذِى خَلَقَ أَزْوَاجَ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَالْإِنْسَانِ ، وَجَعَلَ مِنْهَا الذُّكْرَانَ وَالْإِنَاثَ .

(٣) وَمِنَ الْعِبَرِ الْبَالِغَةِ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَنَظَّمَ بِهِمَا الْمَوَاقِيتَ وَحِفْظَ الْحِسَابِ ، فَإِذَا انْقَضَى النَّهَارُ أَقْبَلَ اللَّيْلُ بِظَلَامِهِ ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ تَجْرِى إِلَى حَدٍّ مُعَيَّنٍ يَنْتَهِى إِلَيْهِ

دَوْرُهَا ، وَالْقَمَرَ يَتَنَقَّلُ فِي ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ مَنْزِلَةً ، كُلَّ لَيْلَةٍ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، وَفِي آخِرِ مَنْزِلَةٍ يَصِيرُ صَغِيراً مُعْوَجًّا .

(٤) وَمِنْ عَجَائِبِ صُنْعِهِ أَنَّ الشَّمْسَ لَا تَلْحَقُ الْقَمَرَ ، وَأَنَّ اللَّيْلَ لَا يَسْبِقُ أَوَانَهُ ، بَلْ كُلٌّ يَسِيرُ عَلَى نِظَامٍ ثَابِتٍ .

(٥) وَمَوْعِظَةٌ أُخْرَى : تِلْكَ السُّفُنُ الَّتِي تَسِيرُ فِي الْبِحَارِ مَمْلُوءَةً بِالنَّاسِ وَأَبْنَائِهِمْ وَتِجَارَتِهِمْ فَتَصِلُ إِلَى مَقْصِدِهَا سَالِمَةً ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَغْرَقَهَا بِمَنْ فِيهَا ، وَلَكِنَّ رَحْمَتَهُ الشَّامِلَةَ جَعَلَتْهُمْ يَتَمَتَّعُونَ بِحَيَاتِهِمْ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ أَعْمَارُهُمْ .

وَكَمَا هَيَّأَ اللهُ السُّفُنَ هَيَّأَ الْقُطُرَ وَالسَّيَّارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَتَابِعَةِ عَلَى عِبَادِهِ .

ما ترشد إليه هذه الآيات :

نِعَمُ اللهِ عَلَى الْإِنْسَانِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ .

الدرس ٤ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
آيَاتٍ	أَدِلَّة	سُبْحَانَكَ	أُبْعِدُكَ عَنِ الْعَبَثِ
الْأَلْبَابِ	الْعُقُولِ	أَخْزَيْتَهُ	حَقَّرْتَهُ وَفَضَحْتَهُ
بَاطِلًا	عَبَثًا بِغَيْرِ حِكْمَةٍ	الْأَبْرَارِ	الصَّالِحِينَ
قِنَا	احْفَظْنَا	هَاجَرُوا	تَرَكُوا بِلَادَهُمْ
كَفِّرْ	امْحُ	فِي سَبِيلِي	بِسَبَبِ دِينِي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

"وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَـٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، رَبَّنَـا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ * رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ

ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ، وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ، رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ * فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ، بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ، فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ، وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ *».

[من سورة آل عمران]

المعنى الإجمالى

إِنَّ مَا فِى السَّمٰوَاتِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ، وَمَا فِى الْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ ، كُلُّهَا مَمْلُوكَةٌ لِلّٰهِ تَعَالَى ، خَلَقَهَا وَدَبَّرَ أَحْوَالَهَا بِقُدْرَتِهِ ، وَمَنْ تَأَمَّلَ

مَا فِيهَا مِنْ نِظَامٍ مُحْكَمٍ وَارْتِبَاطٍ مَتِينٍ ، وَتَتَابُعِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِاسْتِمْرَارٍ ، عَلِمَ أَنَّهَا لَابُدَّ لَهَا مِنْ خَالِقٍ وَاحِدٍ قَادِرٍ عَلِيمٍ ، أَوْجَدَهَا لِحِكْمَةٍ ، وَهِيَ الِاسْتِدْلَالُ بِهَا عَلَى عَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَالِانْتِفَاعُ بِمَا حَوَتْهُ مِنَ الْفَوَائِدِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ وَجَبَ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ مُفَكِّرٍ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ وَيَسْأَلَهُ النَّجَاةَ مِنْ فَضِيحَةِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُوَفِّقَهُ لِامْتِثَالِ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَأَنْ يَصْفَحَ عَنْ زَلَّاتِهِ ، وَيَغْفِرَ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُدْخِلَهُ فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ ، وَأَنْ يُعْطِيَهُ الثَّوَابَ الَّذِي وَعَدَ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ أَنَّهُ يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ دَعَاهُ بِإِخْلَاصٍ وَيَقِينٍ ، وَيُكَافِئُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ الْأَوْطَانَ وَالْأَهْلَ ، وَيَتَحَمَّلُونَ آلَامَ الْغُرْبَةِ وَأَنْوَاعَ الْأَذَى بِسَبَبِ الدِّفَاعِ عَنْ دِينِهِمْ وَنَشْرِهِ فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ .

ماترشد إليه هـــذه الآيات :

(١) التَّأَمُّلُ وَالتَّدَبُّرُ فِي هٰـذَا الْعَالَمِ وَمَا فِيـهِ مِنْ نِظَامٍ عَجِيبٍ يُوَصِّلُ إِلَى وَحْدَانِيَّةِ خَالِـقِهِ وَمُبْدِعِهِ ذٰلِكَ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

(٢) أَنَّ مَنْ دَعَا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَلْبٍ مُخْلِصٍ اسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ وَأَنَالَهُ مَا طَلَبَهُ .

(٣) أَنَّ مَنِ احْتَمَلَ الْأَذَى فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ثَوَابٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ .

الدرس ٥ — معـانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
أَلَمْ تَرَ	انْظُرْ وَتَعَجَّبْ	يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ	يُصَوِّرُ الْمَعْقُولَ فِي صُورَةِ الْمَحْسُوسِ
طَيِّبَةً	نَافِعَـةً	خَبِيثَة	ضَارَّة
أَصْلُهَا ثَابِتٌ	جِذْرُهَا رَاسِخٌ	اجْتُثَّتْ	قُطِعَتْ
فَرْعُهَا فِى السَّمَاء	أَعْلَاهَا مُرْتَفِـعٌ	قَرَار	ثَبَاتٍ
أُكُلَهَـا	ثَمَــرَهَا	يُضِلُّ	لَا يَهْدِى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١) "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ *

(٢) يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ، وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ، وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ *"

[من سورة إبراهيم]

المعنى الإجمالى

(١) إِنَّ حُسْنَ الْأَدَبِ فِى الْمُخَاطَبَةِ ، وَقَوْلَ الْمَعْرُوفِ مِمَّا يَجْلِبُ الْمَحَبَّةَ وَالصَّفَاءَ ، وَيَزِيدُ الْمَوَدَّةَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَثَلُ ذٰلِكَ كَمَثَلِ الشَّجَرَةِ النَّافِعَةِ يَسْتَفِيدُ النَّاسُ مِنْ ظِلِّهَا وَثَمَرِهَا وَخَشَبِهَا

فِي أَنْفُسِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ ، وَأَمَّا سُوءُ الْأَدَبِ وَالْغِلْظَةُ فِي الْقَوْلِ ، وَبَذَاءَةُ اللِّسَانِ وَاغْتِيَابُ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ مَدْعَاةُ التَّقَاطُعِ وَالْعِدَاءِ وَالنُّفُورِ وَالْبَغْضَاءِ ، كَالشَّجَرَةِ الضَّارَّةِ ، لَا يُؤْكَلُ ثَمَرُهَا ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِظِلِّهَا .

(٢) إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي إِصْلَاحِ النَّاسِ وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى مَا يُفِيدُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ يُمِدُّهُمُ اللهُ بِمَعُونَتِهِ ، وَيَخْذُلُ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعَدَمِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الْمُصْلِحُونَ .

ما ترشد إليه هذه الآيات :

(١) الْكَلَامُ الطَّيِّبُ يُرْضِي اللهَ ، وَيَجْلِبُ مَحَبَّةَ النَّاسِ ، وَهُوَ دَائِمُ النَّفْعِ حَمِيدُ الْأَثَرِ .

(٢) الْكَلَامُ الْخَبِيثُ يُغْضِبُ اللهَ وَيُنَفِّرُ النَّاسَ .

الدرس ٦ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
أَعْمَى	جَاهِلٌ	ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ	طَلَباً لِرِضَاهُ
عَهْدُ اللهِ	الْإِقْرَارُ بِرُبُوبِيَّتِهِ	عُقْبَى الدَّارِ	الْجَنَّةُ
عَلَانِيَةً	جَهْرًا	عَدْنٍ	إِقَامَةٍ وَخُلُودٍ
يَدْرَءُونَ	يَدْفَعُونَ	اللَّعْنَةُ	الطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ
لَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ	لَا يُخْلِفُونَ وُعُودَهُمْ		

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) "أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ
هُوَ أَعْمَىٰٓ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ
وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ * وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن
يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ * وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ

ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ، وَأَقَامُوا۟ الصَّلَوٰةَ ، وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ * جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ، وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ *

(٢) وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ * " .

[من سورة الرعد]

المعنى الإجمالى

(١) يُبَيِّنُ لَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا يَسْتَوِى عِنْدَهُ فِى عُلُوِّ الدَّرَجَةِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابُ اللهِ حَقًّا

فيؤمنُ بِهِ ، ومَن عَمِيَ قلبُهُ فكابرَ وعاندَ ، ولِلأَولياء صفاتٌ امْتَازُوا بِهَا عَنْ غَيْرِهِمْ وهِيَ :

(ا) أنهم يمتثلونَ أَوَامِرَ اللهِ ويَجْتَنِبُونَ ما نَهَى عَنْهُ، ولَا يعدُون وَعْداً إِلَّا أَنْجَزُوهُ .

(ب) أَنَّهُمْ يَصِلُونَ رَحِمَهُمْ ويُحْسِنُونَ مُعَامَلَةَ أَقَارِبِهِمْ وَيُدَافِعُونَ عَنْ جِيرَانِهِمْ وَأَصْدِقَائِهِمْ .

(ج) أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ عذابَ اللهِ وَغَضَبَهُ فيُدَاوِمُونَ عَلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ، ويَبْتَعِدُونَ عَنْ أَعْمَالِ الشَّرِّ والْفَسَادِ .

(د) أَنَّهُمْ يَصْبِرُونَ عِنْدَ نُزُولِ الْمَصَائِبِ ، وَفِي مَوَاطِنِ الدِّفَاعِ عَنِ الدِّينِ وَالْوَطَنِ ، ويَعِفُّونَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ .

(هـ) أَنَّهُمْ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا وَيُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ عَلَى آلِهِمْ وَعَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ .

(و) أَنَّهُمْ يَصْفَحُونَ عَمَّنْ آذَاهُمْ ، وَيُقَابِلُونَ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ ، فَهٰؤُلَاءِ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ نَعِيمٌ مُقِيمٌ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ .

(٢) وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَإِنَّهُمْ يُخْلِفُونَ وُعُودَهُمْ وَلَا يُحَافِظُونَ عَلَى مَا يَأْمُرُ اللّٰهُ بِهِ ، وَلَا يَرْعَوْنَ حُقُوقَ أَقَارِبِهِمْ وَجِيرَانِهِمْ . وَيَرْتَكِبُونَ الشُّرُورَ وَالْمَفَاسِدَ كَالسَّرِقَةِ وَالْقَتْلِ ، وَهٰؤُلَاءِ يُعَاقِبُهُمُ اللّٰهُ بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَالْخُلُودِ فِي عَذَابِ السَّعِيرِ .

ما ترشد إليه هذه الآيات :

(١) وُجُوبُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ .

(٢) وُجُوبُ صِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَالصَّبْرِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ .

(٣) الْحَثُّ عَلَى مُقَابَلَةِ الْإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ .

الدرس ٧ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
قَضَى	أَرَادَ	يُسْجَرُونَ	يُحْرَقُونَ
يُجَادِلُونَ	يُخَاصِمُونَ	ضَلُّوا	غَابُوا
أَنَّى يُصْرَفُونَ	كَيْفَ يُكَذِّبُونَ	نَدْعُو	نَعْبُدُ
الْأَغْلَالُ	أَطْوَاقُ الْحَدِيدِ	تَمْرَحُونَ	تَلْعَبُونَ
الْحَمِيمِ	الْمَاءُ الْحَارُّ	مَثْوَى	مَنْزِلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ، فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ
يُصْرَفُونَ * ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ،
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ ،
يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ

أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ ، قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا ، بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْئًا ، كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ * ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ * ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ، فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ * ".

[من سورة المؤمن]

المعنى الإجمالى

اللهُ سُبحَانَهُ وتَعَالَى هُوَ الَّذِى يُحْيِي النَّاسَ وَيُمِيتُهُمْ ، وَهُوَ الْقَادِرُ الْمُتَصَرِّفُ ، إِذَا أَرَادَ شَيئًا نَفَذَ . وَلِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ أَدِلَّةٌ وَبَرَاهِينُ مُشَاهَدَةٌ لَا يُنْكِرُهَا إِلاَّ الْمُكَابِرُون . وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ أَنْوَاعًا مِنَ الْعَذَابِ فِي جَهَنَّمَ ، فَتُوضَعُ أَطْوَاقُ الْحَدِيدِ فى أَعْنَاقِهِمْ ، وَيُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وجُوهِهِمْ ، وَيَبْحَثُونَ عَنْ آلِهَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ لِتُنْقِذَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ ، فَلَا يَجِدُونَ

مِنْهَا أَحداً ، ويَتَبَيَّنُ لهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي غَفْلَةٍ عَنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِمْ بِمَا شَغَلُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ لَهْوٍ ولَعِبٍ ، وكَانَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ جُعِلَتْ لَهُمْ جَهَنَّمُ مَنْزِلاً وَمُقَاماً .

ما ترشد إليه هذه الآيات :

(١) أَنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً شَدِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(٢) أَنَّ مَا يَعْبُدُهُ الْكَافِرُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَدْفَعُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ .

الدرس ٨ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
تَشْخَصُ	تُدِيمُ النَّظَرَ	طَرْفُهُمْ	نَظَرُهُمْ
مُهْطِعِينَ	مُسْرِعِينَ خَائِفِينَ	أَفْئِدَتُهُمْ	قُلُوبُهُمْ
مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ	رَافِعِيهَا	هَوَاءٌ	خَالِيَةٌ عَنِ الْفَهْمِ

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
أَخِّرْنَا	رُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا	مُقَرَّنِينَ	مَرْبُوطِينَ
زَوَالٍ	فَنَاء	الْأَصْفَادِ	الْقُيُودِ
ضَرَبْنَا لَكُمُ	بَيَّنَّا أَحْوَالَ مَنْ قَبْلَكُمْ	سَرَابِيلُهُمْ	ثِيَابُهُمْ
الْأَمْثَالَ		الْقَطِرَانُ	"الزِّفْتُ"
مَكَرُوا مَكْرَهُمْ	دَبَّرُوا تَدْبِيرَهُمُ الْخَفِيَّ	تَغْشَى	تُحْرِقُ
إِنْ كَانَ	مَا كَانَ	بَلَاغٌ	إِنْذَارٌ
عَزِيزٌ	غَالِبٌ قَوِيٌّ	يَذَّكَّرَ	يَتَّعِظُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ
لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ، لَا يَرْتَدُّ
إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ، وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ *

(٢) وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ، فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ، أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ *

(٣) وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ، وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ، إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ، وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ * وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ * لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ، إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ *

(٤) هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ *

[من سورة إبراهيم]

المعنى الإجمالى

(١) لَا يَخْفَى عَلَى ٱللهِ شَىْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْكَافِرِينَ ، فَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ وَمُنْتَقِمٌ مِنْهُمْ ، فَلَا يَغُرَّنَّكَ مَا تَرَاهُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَظَاهِرِ الْغِنَى وَالْجَاهِ ، وَمَا يَنْعَمُونَ بِهِ مِنْ قُصُورٍ فَاخِرَةٍ وَأَثَاثٍ وَرِيَاشٍ ، وَلَا تَظُنَّ أَنَّ اللهَ أَغْفَلَ عِقَابَهُمْ ، وَإِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِى يَبْلُغُ مِنْ هَوْلِهِ وَشِدَّتِهِ أَنْ يَقَعُوا فِى حَيْرَةٍ وَذُهُولٍ ، فَتَرَى أَعْيُنَهُمْ مَفْتُوحَةً دَائِمًا لَا تَطْرِفُ ، وَيُسْرِعُونَ لِمُلَاقَاةِ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ فِى ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ رَافِعِينَ رُءُوسَهُمْ ، لِيَرَوْا مَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ ، قَدْ طَارَتْ عُقُولُهُمْ ، وَخَلَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ وَفِقْدَانِ كُلِّ أَمَلٍ فِى النَّجَاةِ .

(٢) فَأَنْذِرِ النَّاسَ يا مُحَمَّدُ وَخَوِّفْهُمْ بِمَا سَيَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، يَوْمَ يَقُولُ الْكافِرُونَ : رَبَّنَا أَعِدْنَا إِلَى الْحَياةِ الدُّنْيا نُصْلِحْ ما أَفْسَدْنا مِنْ قَبْلُ ، وَنُؤْمِنْ بِرُسُلِكَ ، فَيُقالُ لَهُمْ : أَلَمْ تُقْسِمُوا فِي الدُّنْيا أَنَّكُمْ لا تُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ وَلَا تُحاسَبُونَ ، وَاعْتَقَدْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الدُّنْيا مُخَلَّدُونَ ؟

وَقَدْ شاهَدْتُمْ بِأَعْيُنِكُمْ آثارَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ بِهَا عِقابَهُ ، وَجَعَلَها مَثَلاً وَعِبْرَةً لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَها ، فَلَمْ تَتَّعِظُوا بِمَا ضُرِبَ لَكُمْ مِنَ الْعِظاتِ وَالأَمْثالِ .

(٣) وَلَقَدْ كَذَّبَ قَبْلَكَ الْكُفَّارُ رُسُلَهُمْ وَآذَوْهُمْ وَافْتَنُّوا فِي تَدْبِيرِ الْمَكايِدِ لَهُمْ لِيَمْنَعُوهُمْ مِنْ تَأْدِيَتِهِمْ واجِبَهُمْ ، وَغَفَلُوا عَنْ أَنَّ اللهَ يُحَقِّقُ وَعْدَهُ لِرُسُلِهِ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَيَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدائِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، فَلا يَجِدُونَ لَهُمْ نَصِيراً وَلا مُعِيناً حِينَ تَتَبَدَّلُ

الْأَرْضُ بِأَرْضٍ غَيْرِهَا ، وَكَذَا السَّمٰوَاتُ ، وَقَدْ خَرَجَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْحِسَابِ حَيْثُ يَكُونُ الْمُجْرِمُونَ قَدْ ضُمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي الْقُيُودِ وَالْأَغْلَالِ ، وَعَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِنَ الْقَطِرَانِ الْمُذَابِ، وَالنَّارُ تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .

(٤) فَلْيَتَّعِظْ كُلُّ عَاقِلٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ ، وَلْيَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مَا يُنَجِّيهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَعَذَابِهِ .

ماترشد إليه هذه الآيات :

(١) أَنَّهُ لَا يَغْتَرُّ أَحَدٌ بِمَا يَرَى عَلَى الْكُفَّارِ مِنْ نِعْمَةٍ وَثَرَاءٍ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَمْهَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ .

(٢) أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَتَّعِظَ بِمَنْ سَبَقَنَا مِنَ الْأُمَمِ كَيْلَا يُصِيبَنَا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ عَذَابٍ وَهَلَاكٍ .

الدرس ٩ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
الْغَاشِيَةُ	يَوْمُ الْقِيَامَةِ	أَكْوَابٌ	جَمْعُ كُوبٍ
خَاشِعَةٌ	ذَلِيلَةٌ	نَمَارِقُ	وَسَائِدُ
نَاصِبَةٌ	تَعِبَةٌ	زَرَابِيُّ	بُسُطٌ
تَصْلَى نَارًا	تُقَاسِي حَرَّهَا	مَبْثُوثَةٌ	مَفْرُوشَةٌ
عَيْنٌ	يَنْبُوعٌ	الْإِبِلِ	الْجِمَالِ
آنِيَةٍ	شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ	سُطِحَتْ	أُعِدَّتْ لِلانْتِفَاعِ بِهَا
ضَرِيعٍ	طَعَامٍ رَدِيءٍ	نُصِبَتْ	أُقِيمَتْ
نَاعِمَةٌ	عَلَيْهَا بَهْجَةٌ وَسُرُورٌ	مُسَيْطِرٍ	مُسَلَّطٍ
لَاغِيَةً	كَلَامًا بَذِيئًا	تَوَلَّى	أَعْرَضَ
سُرُرٌ	جَمْعُ سَرِيرٍ	إِيَابَهُمْ	رُجُوعَهُمْ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

" هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ * عَامِلَةٌ
نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ
طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ * وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا
لَٰغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ
مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ * أَفَلَا يَنظُرُونَ
إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى
ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ *
فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ
وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ
عَلَيْنَا حِسَابَهُم * "

[سورة الغاشية]

المعنى الاجمالى

يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمُ أَهْوَالٍ وَشَدَائِدَ، وَالنَّاسُ فِيهِ فَرِيقَانِ : فَرِيقُ الْعَاصِينَ ، وَفَرِيقُ الطَّائِعِينَ :

(ا) فَالْأَوَّلُونَ يُشَاهَدُ عَلَى وُجُوهِهِمُ الذُّلُّ وَالْخِزْىُ ، وَضَيَاعُ الْآمَالِ ، وَلَهُمْ نَارٌ حَامِيَةٌ يُقَاسُونَ حَرَّهَا ، وَإِذَا عَطِشُوا أُتِيَ لَهُمْ بِمَاءٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ لَا يُذْهِبُ عَطَشَهُمْ ، وَإِذَا جَاعُوا قُدِّمَ لَهُمْ طَعَامٌ قَذِرٌ لَا يَدْفَعُ جُوعَهُمْ وَلَا يُفِيدُ جِسْمَهُمْ .

(ب) وَأَمَّا الطَّائِعُونَ ، فَيَعْلُو وُجُوهَهُمُ السُّرُورُ وَالْحُسْنُ ، فَرِحِينَ بِمَا شَاهَدُوا مِنْ ثَمَرَاتِ أَعْمَالِهِمِ فِى الدُّنْيَا ، وَيَسْكُنُونَ قُصُورًا عَالِيَةً يَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْمَاءُ الْعَذْبُ الصَّافِى ، وَوَسَائِلُ الرَّاحَةِ لَدَيْهِمْ مَوْفُورَةٌ ، لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا الْقَوْلَ الْحَسَنَ .

وَعَجِيبٌ شَأْنُ مَنْ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَيَغْفُلُونَ عَنِ النَّظَرِ فِي آثَارِ قُدْرَتِهِ فِيمَا يَقَعُ تَحْتَ بَصَرِهِمْ ، فَمِنْ ذٰلِكَ الْإِبِلُ وَخَلْقُهَا الْعَجِيبُ : جَعَلَ عُنُقَهَا طَوِيلًا لِيُسَاعِدَهَا عَلَى النُّهُوضِ بِمَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْأَثْقَالِ ، وَجَعَلَ لَهَا خُفًّا لِتَسْتَطِيعَ السَّيْرَ فِي الصَّحَارَى ، وَأَعْطَاهَا قُوَّةَ الصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، وَمِنْ ذٰلِكَ السَّمَاءُ رَفَعَهَا بِغَيْرِ أَعْمِدَةٍ تَحْمِلُهَا ، وَمِنْ ذٰلِكَ إِقَامَةُ الْجِبَالِ لِتَحْفَظَ الْأَرْضَ مِنَ الِاضْطِرَابِ ، وَتُؤْخَذَ مِنْهَا الْأَحْجَارُ لِلْبِنَاءِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَعَادِنِ النَّفِيسَةِ ؛ وَمِنْ ذٰلِكَ الْأَرْضُ أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَى لِإِقَامَةِ النَّاسِ عَلَيْهَا وَالسَّيْرِ فِي مَسَالِكِهَا .

فَعَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تُذَكِّرَ النَّاسَ بِأَنَّ لَهُمْ إِلٰهًا خَالِقًا قَادِرًا ، يُشَاهِدُونَ دَلَائِلَ وُجُودِهِ ، وَآثَارَ قُدْرَتِهِ فِي هٰذَا الْعَالَمِ ؛ فَإِنَّكَ مُرْشِدٌ تُنْذِرُ وَتُبَشِّرُ ، وَاللهُ هُوَ الْمُطَّلِعُ عَلَى السَّرَائِرِ ، فَمَنْ أَعْرَضَ مِنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ يَتَوَلَّى حِسَابَهُ وَعِقَابَهُ .

ما ترشد إليه هذه السورة :

(١) أَنَّ لِلْعَاصِين يَوْمَ الْقِيَامَة عَذَاباً أَلِيماً ، وَلِلطَّائِعين نَعِيماً مُقِيماً .

(٢) الْحَثُّ عَلَى النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ فِى الْكَائِنَاتِ لِنَصل إِلَى أَنَّ لَهَا خَالِقًا عَظِيماً هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

الدرس ١٠ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
مَدْيَنَ	قَبِيلَة — بَلَد	الْقِسْط	الْعَـدْلِ
شُعَيْب	أَحَدُ رُسُلِ اللهِ	تَعْثَوْا	تُفْسِدُوا
بِخَير	فِى غِنًى وَثَرْوَةٍ	بَقِيَّةُ الله	مَا يُبْقِيهِ مِنَ الحَـلَالِ
مُحِيطٌ	شَامِلُ	الرَّشِيدُ	الْكَامِلُ الْعقْلِ
أَوْفُوا	أَتِمُّوا	إِنْ أُرِيدُ	مَا أُرِيدُ
تَبْخَسُوا	تَنقُصُوا	أُنِيبُ	أَرْجِعُ

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
يَجْرِمَنَّكُمْ	يُسَبِّبُ لَكُمْ	يُخْزِيهِ	يَفْضَحُهُ
شِقَاقِي	مُعَادَاتِي	ارْتَقِبُوا	انْتَظِرُوا
وَدُودٌ	كَثِيرُ الرَّحْمَةِ	رَقِيبٌ	مُنْتَظِرٌ
نَفْقَهُ	نَفْهَمُ	أَمْرُنَا	عَذَابُنَا
رَهْطُكَ	قَوْمُكَ	الصَّيْحَةُ	الصَّرْخَةُ الشَّدِيدَةُ
رَجَمْنَاكَ	قَتَلْنَاكَ رَمْيًا بِالأَحْجَارِ	جَاثِمِينَ	مَيِّتِينَ
ظِهْرِيًّا	مَنْسِيًّا	يَغْنَوْا	يُقِيمُوا
مُحِيطٌ	عَلِيمٌ	بُعْدًا	هَلَاكًا
مَكَانَتِكُمْ	مَا فِي قُدْرَتِكُمْ	ثَمُودُ	قَبِيلَةٌ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

" وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً، قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ، وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ، إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُواْ

ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ، وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ

وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ، وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ

أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ

فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ * قَالَ يَٰقَوْمِ

أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ،

وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ

إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ، عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن

يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ

صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ *

وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ * قَالُوا۟

يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ، وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ، وَلَوْلَا

رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ، وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ

أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ، إِنَّ رَبِّى بِمَا

تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ،

سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ ،

وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ * وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ، وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ

فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ، أَلَا بُعْدًا

لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ * " .

[من سورة هود]

المعنى الإجمالى

مِنْ رُسُلِ اللهِ تَعَالَى شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أُرْسِلَ إِلَى أَهْلِ مَدْيَنَ (وَهِيَ بَلْدَةٌ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ سُمِّيَتِ الْقَبِيلَةُ بِهَا) كَانُوا فِي غِنًى وَسَعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ ، يَشْتَغِلُونَ بِالتِّجَارَةِ ، وَيَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ ، وَكَانُوا يَغُشُّونَ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ ، فَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ : اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ إِلَٰهٌ سِوَاهُ ، وَلَا تَنْقُصُوا حُقُوقَ النَّاسِ وَأَنْتُمْ أَهْلُ ثَرْوَةٍ وَيَسَارٍ ، وَلَا تَعْتَدُوا عَلَى أَرْوَاحِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَذَٰلِكَ شَأْنُ أَهْلِ الْفَسَادِ ، وَفِيمَا أَحَلَّهُ اللهُ لَكُمْ مِنَ الْكَسْبِ كِفَايَةٌ تَكْفُلُ لَكُمُ الْمَعِيشَةَ الطَّيِّبَةَ . فَاسْتَهْزَءُوا بِهِ وَوَصَفُوهُ بِالْجَهْلِ وَسُوءِ الرَّأْيِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فِيهِ مَصْلَحَةٌ أُرِيدُ أَنْ أَنْفَرِدَ بِهَا دُونَكُمْ ، وَكُلُّ مَا أَقْصِدُهُ هُوَ إِصْلَاحُ شَأْنِكُمْ مُسْتَعِينًا بِاللهِ فَعَلَيْهِ الْمُعَوَّلُ وَإِلَيْهِ الْمَآبُ وَالْمَرْجِعُ ، وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ بِسَبَبِ عِنَادِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ الَّتِي مِنْ قَبْلِكُمْ وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَخْبَارَهَا .

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّا لَا نَفْهَمُ كَلَامَكَ ، وَلَسْتَ ذَا قُوَّةٍ تُسَيْطِرُ بِهَا عَلَيْنَا ، وَلَوْلَا قَوْمُكَ لَقَتَلْنَاكَ . فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ اللهَ الَّذِى أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ أَقْوَى مِنْ قَوْمِي ، فَيَجِبُ أَنْ تَخْشَوْا بَأْسَهُ وَلَا تَسْتَهِينُوا بِعَذَابِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا نُصْحِى فَاعْمَلُوا مَا فِي وُسْعِكُمْ ، فَسَوْفَ يَتَبَيَّنُ لَكُمْ عَاقِبَةُ مَا حَذَّرْتُكُمْ إِيَّاهُ . وَلَمَّا أَصَرُّوا عَلَى الْعِنَادِ وَالْكُفْرِ أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ مَلَكاً صَاحَ فِيهِمْ صَيْحَةً شَدِيدَةً فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ مَيِّتِينَ كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا أَحْيَاءً مِنْ قَبْلُ .

ما ترشد إليه هذه الآيات :

(١) وُجُوبُ وَفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ .

(٢) أَنَّ مَا يَكْسِبُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ طَرِيقِ الْحَلَالِ أَنْفَعُ وَأَكْثَرُ فَائِدَةً .

(٣) إِطَاعَةُ الْهُدَاةِ وَالْمُرْشِدِينَ .

الدرس ١١ — معانى المفردات

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
الْكِتَابِ	الْقُرْآنِ الْكَرِيم	قَصِيًّا	بَعِيداً
انْتَبَذَتْ	ابْتَعَدَتْ	أَجَاءَهَا	أَلْجَأَهَا
حِجَاباً	سِتْراً	الْمَخَاضُ	أَلَمُ الْوِلَادَةِ
رُوحَنَا	جِبْرِيلَ	سَرِيا	شَرِيفاً – أَوْ نَهْراً
سَوِيا	كَامِلًا	جَنِيًّا	طَرِيًّا حَدِيثَ الْجَنْى
أَعُوذ	أَتَحَصَّنُ	قَرِّى عَيْناً	اطْمَئِنِّى
زَكِيًّا	طَاهِراً مِنَ الذُّنُوبِ	صَوْماً	صَمْتاً
أَنَّى	كَيْفَ – مِنْ أَيْنَ	فَرِيًّا	مُنْكَراً
لَمْ يَمْسَسْنِى	لَمْ أَتَزَوَّجْ	امْرَأَ سَوْءٍ	رَجُلًا سَيِّئَ السِّيرَةِ
بَشَر		الْمَهْدِ	فِرَاشِ الطِّفْلِ
بَغِيًّا	سَيِّئَةَ السِّيرَةِ	الْكِتَاب	الْإِنْجِيل
آيَةً	دَلَالَةً عَلَى قُدْرَةِ اللهِ	يَمْتَرُونَ	يَشُكُّونَ
مَقْضِيًّا	مَحْتُوماً		

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

„ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا *
فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا
سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ
إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ
لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ
هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا *
فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ
ٱلنَّخْلَةِ ، قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَىٰهَا
مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ
بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى
عَيْنًا ، فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا

فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا * يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ، قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا * وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ، وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى ، وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا * وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ، هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * "

[من سورة مريم

المعنى الإجمالى

اشْتَمَلَتْ هٰذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قِصَّةِ مَرْيَمَ وَوِلَادَةِ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَهِىَ : أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَبَّبَ إِلَى مَرْيَمَ اعْتِزَالَ النَّاسِ لِعِبَادَةِ اللهِ ، وَبَيْنَمَا هِىَ فِى عِبَادَتِهَا جَاءَهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِى صُورَةِ إِنْسَانٍ ، فَنَفَرَتْ مِنْهُ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ لِيَهَبَ لَهَا وَلَداً نَامِياً عَلَى الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ، فَتَعَجَّبَتْ كَيْفَ يَكُونُ لَهَا وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَرَادَ ذٰلِكَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِالْوَضْعِ لَجَأَتْ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ لِتَلِدَ فِى ظِلِّهَا، وَهِىَ كَئِيبَةٌ حَزِينَةٌ خَوْفَ الْمَلَامَةِ، فَلَمَّا وَضَعَتْهُ سَمِعَتْ صَوْتاً يُخَفِّفُ حُزْنَهَا وَيَقُولُ لَهَا : قَدْ رَزَقَكِ اللهُ سَيِّداً لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ ؛ فَهُزِّى النَّخْلَةَ ، وَكُلِى مِمَّا يَسْقُطُ مِنْ بَلَحِهَا اللَّذِيذِ، وَإِذَا خَاطَبَكِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَأَفْهِمِيهِ أَنَّكِ نَذَرْتِ لِلهِ الصَّمْتَ. فَلَمَّا عَادَتْ بَعْدَ نِفَاسِهَا إِلَى قَوْمِهَا وَمَعَهَا ابْنُهَا اسْتَقْبَحُوا مَا حَصَلَ مِنْهَا

فَأَشَارَتْ إلى عِيسَى ، فقَالُوا: كَيفَ نُكَلِّمُ طِفلاً لا يزَالُ فِي مَهْدِهِ؟ فَأَجَابَهُمْ ، إِنِّي عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ، أَوْحَى إِلَيَّ، وَجَعَلَنِي نَبِيًّا نَافِعاً لِلنَّاسِ، مُطِيعاً لِأَوَامِرِهِ، بَارًّا بِوَالِدَتِي، غَيْرَ مُتَكَبِّرٍ وَلَا عَاصٍ .

هٰذِهِ هِيَ الْقِصَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِعِيسَى وَأُمِّهِ ، فَمِنَ الْجَهْلِ وَالْكُفْرِ أَنْ يَزْعُمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ عِيسَى ابْنُ اللهِ ، تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذٰلِكَ فَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِذَا أَرَادَ أَمْراً أَنْفَذَهُ ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

ما ترشد إليه هذه الآيات :

(١) أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَكَمَا خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ خَلَقَ عِيسَى مِنْ غَيْرِ أَبٍ .

(٢) مَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ عِيسَى ابْنُ اللهِ كَذِبٌ وَكُفْرٌ .

الحديث الشريف

دِرَاسَةُ الْأَحَادِيثِ الْآتِيَةِ وَحِفْظُ خَمْسَةٍ مِنْهَا :

— قَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

"الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللّٰهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللّٰهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" .

الكلمة	معناها
لَا يُسْلِمُهُ	لَا يَتَخَلَّى عَنْهُ وَقْتَ الشِّدَّة .
فَرَّجَ	أَزَالَ .
كُرْبَةً	ضِيقًا وَشِدَّةً .
سَتَرَ مُسْلِمًا	لَمْ يُظْهِرْ عُيُوبَهُ .

الشَّرْح

أَبَانَ هٰذَا الحَدِيثُ أَنَّ الإِسْلَامَ اعْتَدَّ المُسْلِمِينَ إِخْوَةً كَإِخْوَةِ النَّسَبِ، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ المُسْلِمِ مِنَ الحُقُوقِ مَا يَأْتِي :

(١) لَا يَظْلِمُهُ — فَلَا يَغْتَصِبُ مَالَهُ ، وَلَا يَغْتَابُهُ ، وَلَا يُسِيءُ إِلَى سُمْعَتِهِ ، وَلَا يَمْنَعُهُ حَقَّهُ .

(٢) لَا يُسْلِمُهُ — فَلَا يَخْذُلُهُ فِي مَوْطِنِ الشِّدَّةِ، وَلَا يُسَاعِدُ عَلَى إِلْقَائِهِ فِي التَّهْلُكَةِ ، بَلْ يَحْمِيهِ مِمَّنْ يَقْصِدُ ضَرَرَهُ .

(٣) أَنْ يَكُونَ مُعِينًا لَهُ ، سَاعِيًا فِي قَضَاءِ مَصَالِحِهِ بِمَالِهِ أَوْ جَاهِهِ . فَإِنَّ ذٰلِكَ يَمْلَأُ القُلُوبَ مَحَبَّةً ، وَيَسْتَوْجِبُ مِنَ اللهِ المَعُونَةَ .

(٤) أَنْ يُبَادِرَ إِلَى إِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ : فَإِنْ حَلَّ بِهِ خُسْرَانٌ مَالِيٌّ أَسْعَفَهُ بِقَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُ ، وَإِنْ وَقَعَ فِي مَظْلَمَةٍ سَعَى فِي تَبْرِئَتِهِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يَدْفَعُ عَنِ الْمُغِيثِ الْكُرَبَ وَالْأَهْوَالَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(٥) أَنْ يَسْتُرَ عُيُوبَهُ : فَإِنْ عَلِمَ عَنْهُ هَفْوَةً فِي نَفْسِهِ أَوْ مَنْزِلِهِ فَمِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يُخْفِيَهَا ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْلَمُ مِنْ هَفَوَاتٍ ، وَفِي إِذَاعَتِهَا تَشْهِيرٌ بِالْمُسْلِمِينَ .

وَلَيْسَ مِمَّا يَجِبُ سَتْرُهُ وَالْإِغْضَاءُ عَنْهُ الْجَرَائِمُ الَّتِي تَضُرُّ بِالْمُجْتَمَعِ : كَالسَّرِقَةِ وَقَتْلِ النَّفْسِ وَشَهَادَةِ الزُّورِ ، فَإِنَّ هٰذِهِ وَأَمْثَالَهَا مِمَّا لَا يَصِحُّ الْإِغْضَاءُ عَنْهَا ، بَلْ يَجِبُ الْأَخْذُ عَلَى أَيْدِي مُرْتَكِبِيهَا تَأْدِيباً لَهُمْ وَزَجْراً لِغَيْرِهِمْ .

٢ — قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" تَرَى الْمُؤْمِنِينَ — فِى تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ — كَمَثَلِ الْجَسَدِ : إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ".

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
التَّرَاحُمُ	الشَّفَقَةُ	التَّعَاطُفُ	التَّعَاوُنُ
تَوَادِّهِمْ	تَوَاصُلِهِمْ	تَدَاعَى	شَارَكَ فِى الْأَلَمِ

الشَّرْحُ

الْمُؤْمِنُونَ كَأَفْرَادِ أُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ، يَنْبَغِى أَنْ يَتَحَابُّوا وَيَتَزَاوَرُوا، وَيُشْفِقَ كُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى الْآخَرِ ، وَيَدْفَعَ عَنْهُ الْأَذَى ، وَأَنْ يَشْعُرَ كُلٌّ مِنْهُمْ بِمَا يُصِيبُ أَخَاهُ ، فَيُبَادِرَ إِلَى مُسَاعَدَتِهِ ، وَيَكُونَ

شأنهم شأن أعضاء الجسد الواحد إذا مرض واحد منها مرض لأجله باقي الأعضاء .

٣ — قال صلى الله عليه وسلم :

" أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر " .

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
المنافق	الذى يظهر خلاف ما يبطن	غدر	ترك الوفاء
خصلة	صفة	فجر	اشتد فى خصومته
يدعها	يتركها		

الشرح

يبينُ الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في هذا الحديثِ أنَّ منِ اتَّصفَ بأربعِ خِصالٍ كانَ منافقاً خالصاً ، ومنْ وُجِدَ فيهِ بعضُها كانَ لديهِ مِنَ النِّفاقِ بقدرِ ما وُجِدَ فيهِ . وهي :

(١) خيانةُ الأمانةِ : فمنِ ائتمنكَ على مالهِ فلا تتهاونْ في حفظهِ ولا تتصرَّفْ فيهِ ، أوْ على سرِّهِ فلا تُذِعْهُ ، فإنَّ ذلكَ يُضيِّعُ ثقةَ النَّاسِ بكَ ويجلبُ بغضَهُمْ وسخطَهُمْ عليكَ .

(٢) الكذبُ في الحديثِ : لأنَّهُ يؤدِّي إلى احتقارِ الكاذبِ ونفورِ النَّاسِ منهُ .

(٣) خلفُ الوعدِ ونقضُ العهدِ : لأنَّهُ يسبِّبُ كسادَ التِّجارةِ وبوارَ الأعمالِ .

(٤) مجاوزةُ الحدِّ في الخصومةِ : فينطلقُ اللِّسانُ بالشَّتمِ ، واليدُ بالضَّربِ ، وفي هذا استفحالٌ للشَّرِّ ، ومجلبةٌ للظُّلمِ ، وضياعٌ للحقوقِ ، وانتشارٌ للجرائمِ .

٤ — قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً " .

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
يَهْدِى	يُوَصِّلُ	الْفُجُورِ	الْفَسادِ
الْبِرّ	كُلّ خَيْرٍ	صِدِّيقاً	كَثِيرَ الصِّدْقِ
يَتَحَرَّى	يَلْتَزِمُ		

الشَّرْح

الصِّدْقُ يُعْلِي شَأْنَ صَاحِبِهِ ، وَيَجْعَلُهُ مَوْضِعَ ثِقَةِ النَّاسِ وَحُبِّهِمْ ، وَيَدْعُو إِلَى زِيَادَةِ الْخَيْرِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى اكْتِسَابِ رِضَا اللهِ وَالْفَوْزِ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ ، وَمَتَى اعْتَادَهُ الْإِنْسَانُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ صَارَ خُلُقًا لَهُ وَطَبْعًا ، وَبِذٰلِكَ يَكُونُ لَهُ فِي النُّفُوسِ احْتِرَامٌ عَظِيمٌ ، وَالْكَذِبُ شَرُّ الرَّذَائِلِ ، وَعَلَامَةُ انْحِطَاطِ النَّفْسِ ، وَيَجُرُّ إِلَى كُلِّ مَعْصِيَةٍ ، وَيُسَهِّلُ ارْتِكَابَ الْآثَامِ . وَمَنْ عُرِفَ بِهِ نَفَرَ النَّاسُ مِنْهُ ، وَشَكُّوا فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَأَصْبَحُوا لَا يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ ، وَيَكُونُ جَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ .

٥ — قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

”مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ

اللهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا والْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِى الدُّنْيَا والْآخِرَةِ ، واللهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ" .

الكلمة	معناها
نَفَّسَ	أَزَالَ .
الْكُرْبَةُ	الضِّيقُ والشدَّةُ .
يَسَّرَ	سَهَّلَ .

الشَّرْح

فِى هٰذَا الْحَدِيثِ فَضَائِلُ وَأَعْمَالٌ مَحْمُودَةٌ يَنْبَغِى لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا ، وَهِىَ :

(١) أَنْ يُسَاعِدَ مَنْ حَلَّ بِهِ عُسْرٌ مَالِىٌّ ، أَوْ لَصِقَتْ بِهِ تُهَمٌ مَكْذُوبَةٌ .

(٢) أَنْ يُسَهِّلَ لِمَنْ عَجَزَ عَنْ أَدَاءِ دَيْنِهِ سُبُلَ وَفَائِهِ : إِمَّا بِإِمْهَالِهِ ، أَوِ التَّجَاوُزِ عَنْ بَعْضِهِ أَوْ كُلِّهِ ، أَوْ بِغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ وَسَائِلِ التَّسْهِيلِ .

(٣) أَنْ يَسْتُرَ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ فَلَا يُذِيعَهَا لِلْفَضِيحَةِ ، فَمَنْ عَمِلَ بِهٰذِهِ الْفَضَائِلِ وَاتَّخَذَهَا خُلُقًا لَهُ ، كَانَ اللّٰهُ عَوْنًا لَهُ فِي قَضَاءِ مَصَالِحِهِ وَأَعْمَالِهِ مِنْ تِجَارَةٍ وَزِرَاعَةٍ وَصِنَاعَةٍ ، وَمُيَسِّرًا مَا صَعُبَ مِنْ أُمُورِهِ ، وَسَاتِرًا عُيُوبَهُ .

٦ — قَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

” مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ رَدَّ اللّٰهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ “ .

الكلمة	معناها
الْعِرْضُ	مَا يَفْتَخِرُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ حَسَبٍ وَشَرَفٍ .
بِالْغَيْبِ	فِي غِيَابِهِ .

الشَّرْح

مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ وَفِيًّا لَهُ فِي غَيْبَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ حُضُورِهِ ، فَإِذَا سَمِعَ أَحَدًا يَذُمُّهُ فِي مَجْلِسٍ دَافَعَ عَنْهُ بِالْحَقِّ ، وَنَفَى مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ ، وَأَظْهَرَ بَرَاءَتَهُ مِمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْمُغْتَابُ مِنَ النَّقَائِصِ وَالْمَعَايِبِ ، وَهَذَا خُلُقٌ يَدُلُّ عَلَى الْمُرُوءَةِ وَالْوَفَاءِ ، وَيَسْتَحِقُّ الْمُتَّصِفُ بِهِ أَنْ يَرُدَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَزَاءً لِعَمَلِهِ الْمَحْمُودِ .

٧ — قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ "

الشرح

لَيْسَتِ الصَّدَقَةُ مَقْصُورَةً عَلَى بَذْلِ الْمَالِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ أَيْضًا بِالْكَلَامِ النَّافِعِ فِي مَوْضِعِهِ ، كَشَهَادَةِ الصِّدْقِ ، وَالْإِرْشَادِ إِلَى الْخَيْرِ ، وَالدِّفَاعِ عَنِ الْمَظْلُومِ — فَهَذَا

كُلُّه مِنْ بَابِ الْمَعْرُوفِ وَالصَّدَقَةِ الَّتِي يَجْزِي اللهُ عَلَيْهَا الْجَزَاءَ الْحَسَنَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

٨ — قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ وَلَا لَعَّانٍ وَلَا فَاحِشٍ وَلَا بَذِيءٍ " .

الكلمة	معناها
الطَّعَّانُ	مَنْ يَذُمُّ الْأَعْرَاضَ .
اللَّعَّانُ	الشَّتَّامُ .
الْفَاحِشُ وَالْبَذِيءُ	مَنْ يَتَكَلَّمُ بِقَبِيحِ الْكَلَامِ .

الشَّرْحُ

الْإِيمَانُ يُطَهِّرُ الْقَلْبَ مِنَ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ ، وَيَحْفَظُ اللِّسَانَ مِنَ السَّبِّ وَقَبِيحِ الْكَلَامِ وَالتَّعَرُّضِ لِمَعَايِبِ النَّاسِ وَذَمِّهِمْ .

فَلَيْسَ بِكَامِلِ الإِيمَانِ مَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي أَعْرَاضِ الخَلْقِ ، وَنَشْرِ عُيُوبِهِمْ .

٩ — قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" لَا تَحْتَقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ " .

الكلمة	معناها
طَلْقٍ	بَاشٍّ مُبْتَسِمٍ .

الشَّرح

لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتْرُكَ فِعْلَ الخَيْرِ مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا أَوْ قَلِيلًا فِي نَظَرِهِ ، فَرُبَّمَا كَانَ مَا يَحْتَقِرُهُ وَيَسْتَصْغِرُهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ ذَا فَائِدَةٍ كَبِيرَةٍ عِنْدَ مَنْ هُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ ، وَإِنَّ قَلِيلًا مِنَ الْمَعْرُوفِ يَدُومُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ يَصِيرُ لَهُ عَادَةً وَخُلُقًا

يُؤَدِّى إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ ، وَإِنَّ كُلّ ما يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ ذٰلِكَ يَجْزِيهِ اللهُ عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْجَزَاء .

١٠ — قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هٰذَا وَيُعْرِضُ هٰذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِى يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ " .

الكلمة	معناها
يَهْجُرُ	يَقْطَعُ .
يُعْرِضُ	يَبْتَعِدُ .

الشَّرح

مِنَ الْآدَابِ الَّتِى حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهَا أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ مُتَوَادِّينَ مُتَحَابِّينَ ، غَيْرَ مُتَنَافِرِينَ وَلَا مُتَبَاغِضِينَ ، وَمِمَّا

يؤدى إلى التباغض وقطع أسباب المودة بالامتناع عن التزاور وتبادل التحية ، بحيث يلتقى الأخوان فيعرض كل منهما عن الآخر . ودين الإسلام يستقبح هذه المقاطعة إلا لثلاثة أيام يهدأ فيها الغضب ، وتضعف شدة النفور ، فتصبح النفوس مستعدة للمصالحة ، وما زاد على ذلك فعاقبته سيئة ، لأنه يؤدى إلى الشحناء ، ويفرق كلمة المسلمين ، ويفوت عليهم مصالحهم .

١١ — قال صلى الله عليه وسلم :

" لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه " .

الكلمة	معناها
يحتطب	يجمع الحطب .

الشرح

يُرْشِدُ الْحَدِيثُ إِلَى أَنَّ الشِّحَاذَةَ وَسُؤَالَ النَّاسِ مَذَلَّةٌ وَتَحْقِيرٌ ، وَالْمُؤْمِنُ لاَ يَكُونُ إِلاَّ عَزِيزاً مُتَعَفِّفاً ، وَلِذَلِكَ كَانَ الاكْتِسَابُ مِنْ أَىِّ حِرْفَةٍ شَرِيفَةٍ وَلَوْ صَغِيرَةً خَيْراً مِنْ إِرَاقَةِ مَاءِ الْوُجُوهِ بِالسُّؤَالِ . فَالَّذِى يَتَّجِرُ فِى الْفُجْلِ أَوِ الْخُضَرِ أَوِ الْبُقُولِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الأَشْيَاءِ الرَّخِيصَةِ الْقِيمَةِ أَشْرَفُ نَفْساً مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ [illegible] النَّاسَ بِطَلَبِ نُقُودٍ مِنْهُمْ [illegible] مِنَ الْفُقَرَاءِ وَذَوِى الْعَاهَاتِ ، وَبَعْضُ النَّاسِ يُعْطُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ يَنْهَرُونَهُمْ . وَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَصْدَرُ شَرٍّ عَلَى أُمَّتِهِمْ لِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا الْبَطَالَةَ وَالْكَسَلَ دَيْدَناً لَهُمْ ، وَلَمْ تَسْتَفِدْ مِنْهُمْ شَيْئاً .

١٢ – قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِى الطُّرُقَاتِ . فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ ، إِنَّمَا هِىَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، قَالَ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا . قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَرَدُّ السَّلَامِ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهْىٌ عَنِ الْمُنْكَرِ " .

الكلمة	معناها
مَا لَنَا بُدٌّ	لَيْسَ لَنَا غِنًى عَنْهُ .
أَبَيْتُمْ	امْتَنَعْتُمْ .
كَفُّ الْأَذَى	مَنْعُ الضَّرَرِ عَنِ الْمَارِّينَ .

الشَّرْحُ

يَنْهَانَا الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الْجُلُوسِ فِى الطُّرُقَاتِ ، لِأَنَّهَا مُعَدَّةٌ لِلسَّيْرِ فِيهَا وَلِفَتْحِ الْأَبْوَابِ إِلَيْهَا ، فَالْجُلُوسُ فِيهَا يُضَايِقُ الْمَارِّينَ ، وَيَعُوقُ السَّيْرَ .

فَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْجُلُوسِ وَجَبَتْ رِعَايَةُ حُقُوقِ الطَّرِيقِ ، وَقَدْ بَيَّنَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يَأْتِي :

(١) غَضُّ الْبَصَرِ : أَيْ مَنْعُهُ مِنْ إِطَالَةِ النَّظَرِ فِي الْمَارِّينَ ، لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَخْجَلُ كَالسَّيِّدَاتِ ، وَرُبَّمَا يَكُونُ بَعْضُ الْبُيُوتِ مُفَتَّحَ الْأَبْوَابِ . فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ وَلَا مِنَ الذَّوْقِ أَنْ يَطَّلِعَ الْمُؤْمِنُ عَلَى خَفِيَّاتِهَا .

(٢) كَفُّ الْأَذَى : [redacted]يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُضَيِّقَ الطَّرِيقَ ، أَوْ يَجْلِسَ [redacted] يَتَأَذَّى بِهِ غَيْرُهُ ، أَوْ يُسِيءَ إِلَى أَحَدٍ بِالْقَوْلِ أَوِ الْإِشَارَةِ .

[redacted] مِنَ الْمَارِّينَ : لِأَنَّ ذَلِكَ إِكْرَامٌ وَأَمَانٌ لَهُ ، وَلِذَا كَانَ الرَّدُّ فَرْضًا وَالْبَدْءُ سُنَّةً .

(٤) الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ : وَهُوَ النُّصْحُ لِمَنْ يَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ ، وَإِرْشَادُ الضَّالِّينَ ، وَإِجَابَةُ مَنْ يَبْتَغِي فَهْمَ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ — كُلُّ ذَلِكَ بِالرِّفْقِ وَاللِّينِ ، لَا بِالشِّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ .

(٥) النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تَقَعُ أَمَامَهُ : مِن تَعَدٍّ عَلَى نَفْسٍ أَوْ مَالٍ ، مُرَاعِيًا الْأَدَبَ وَاللُّطْفَ حَتَّى يَكُونَ لِنَهْيِهِ الثَّمَرَةُ الْمَطْلُوبَةُ .

١٣ ــ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

صِفَــةُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ . فَصَاحِبُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً " .

الكلمة	معناها
كِيرُ الْحَدَّادِ	الْآلَةُ الَّتِي يَنْفُخُ بِهَا .
يُحْذِيكَ	يُعْطِيكَ .

الشَّرْح

الصَّاحِبُ الَّذِى حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُ كَبَائِعِ الْمِسْكِ يُفِيدُ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ : إِمَّا بِشِرَائِهِ مِنْهُ طِيبًا ، أَوْ بِشَمِّهِ رَائِحَةً ذَكِيَّةً . وَالصَّاحِبُ الَّذِى سَاءَتْ أَخْلَاقُهُ يُشْبِهُ نَافِخَ الْكِيرِ : مَنِ اقْتَرَبَ مِنْهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهِ ، إِمَّا بِإِحْرَاقِهِ بَدَنَهُ أَوْ ثَوْبَهُ ، وَإِمَّا بِالتَّأَذِّى بِرَائِحَتِهِ الْكَرِيهَةِ . وَلِذَا يَجِبُ أَنْ يَتَخَيَّرَ الْإِنْسَانُ أَصْحَابَهُ وَمُعَاشِرِيهِ مِمَّنْ كَرُمَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَحَسُنَتْ سِيرَتُهُمْ ، وَكَمُلَتْ آدَابُهُمْ فَكُلُّ قَرِينٍ دَلِيلٌ عَلَى صَاحِبِهِ . وَلْيَحْذَرْ مُخَالَطَةَ الْأَشْرَارِ مَخَافَةَ أَنْ تَسْرِىَ إِلَيْهِ أَخْلَاقُهُمُ الذَّمِيمَةُ فَتَكُونَ عَلَيْهِ وَبَالًا .

١٤ — قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

« مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ

نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً » .

الكلمة	معناها
تَرَدَّى	سَقَطَ . وَالْمُرَادُ أَسْقَطَ نَفْسَهُ .
خَالِداً مُخَلَّداً	يَطُولُ مُقَامُهُ وَيَدُومُ عَذَابُهُ .
تَحَسَّى	تَجَرَّعَ وَشَرِبَ .
يَجَأُ	يَطْعَنُ .

الشَّرْحُ

إِنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكَارِهِ مِنْ عَلَامَاتِ قُوَّةِ الْعَزِيمَةِ ، وَالْجَزَعَ وَالْيَأْسَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الضَّعْفِ ، فَالْعَاقِلُ مَنْ رَضِيَ بِالْعَيْشِ

حُلوهِ وَمُرِّه ، وَقَابَلَ الشَّدَائِدَ بِعَزِيمَةٍ ثَابِتَةٍ وَجَنَانٍ قَوِيٍّ ، عِلْماً بِأَنَّ الْأُمُورَ بِيَدِ اللهِ ، وَأَنَّ الْعُسْرَ يَعْقُبُهُ الْيُسْرُ ، وَالضِّيق يَأْتِي بَعْدَهُ الْفَرَجُ ، وَالْفَقْرَ يَزُولُ بِالْغِنَى ، لَا دَوَامَ لِحَالٍ وَلَا اسْتِمْرَارَ .

فَمَنْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِالِانْتِحَارِ لِضِيقِ مَعِيشَتِهِ أَوْ مَرَضٍ طَالَتْ مُدَّتُهُ ، أَوْ إِخْفَاقٍ فِي امْتِحَانٍ ، أَوْ ضَيَاعِ مَالٍ ، أَوْ فَقْدِ حَبِيبٍ ، فَسَعَى لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الْحَيَاةِ بِأَنْ يُلْقِيَ بِنَفْسِهِ مِنْ جَبَلٍ أَوْ يَتَنَاوَلَ سُمًّا ، أَوْ يَبْقُرَ بَطْنَهُ بِمُدْيَةٍ أَوْ خَنْجَرٍ ، أَوْ يُطْلِقَ عَلَى رَأْسِهِ الرَّصَاصَ ، أَوْ يَرْمِيَ بِنَفْسِهِ تَحْتَ قِطَارٍ ، فَلَا يَظُنَّ أَنَّهُ بِذٰلِكَ قَدْ نَجَا وَتَخَلَّصَ مِنَ الْعَذَابِ ، بَلْ تَعَرَّضَ لِعَذَابٍ طَوِيلِ الْأَمَدِ ، شَدِيدِ الْأَلَمِ ، بِمَا قَتَلَ نَفْسَهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا ، فَلَا هُوَ أَبْقَى عَلَى حَيَاتِهِ ، وَلَا هُوَ بِالنَّاجِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِ اللهِ .

١٥ — قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ " .

الكلمة	معناها
لَيْسَ مِنَّا	لَيْسَ عَلَى سُنَّتِنَا .
الْجَيْبُ	فَتْحَةُ الثَّوْبِ الَّتِي يُلْبَسُ مِنْهَا .
الْجَاهِلِيَّة	مَا كَانَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ .

الشَّرْحُ

لَا يَلِيقُ بِالْمُسْلِمِ أَوِ الْمُسْلِمَةِ إِذَا مَاتَ أَحَدُ أَعِزَّائِهِ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ الْحُزْنُ فَيُخْرِجَهُ عَنْ حَدِّ الرَّزَانَةِ وَالْوَقَارِ ، فَيَلْطِمَ وَجْهَهُ ، وَيُمَزِّقَ ثِيَابَهُ ، وَيَنْدُبَ مَيِّتَهُ بِكَلِمَاتٍ كَانَ يَقُولُهَا الْكُفَّارُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَلَّى بِالصَّبْرِ عِنْدَ كُلِّ

مُصيبةٍ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الثَّبَاتِ الَّذِينَ يُقَابِلُونَ حَوَادِثَ الزَّمَانِ بِقُوَّةِ عَزِيمَةٍ وَثِقَةٍ بِاللهِ .

١٦ — قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ ، قِيلَ : وَمَا هُوَ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الْهَرَمُ " .

الشَّرْح

يَحُثُّ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ عَلَى أَنْ يُبَادِرُوا إِلَى مُعَالَجَةِ أَمْرَاضِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ وَلَا يَتَهَاوَنُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى لَايَسْتَفْحِلَ أَمْرُهَا وَيَتَعَذَّرَ شِفَاؤُهَا ، وَقَدْ يُؤَدِّي إِهْمَالُهَا إِلَى الْمَوْتِ وَانْتِقَالِ الْعَدْوَى وَتَفَشِّي الْأَمْرَاضِ ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ مَرَضٍ دَوَاءً يَشْفِيهِ إِلَّا كِبَرَ السِّنِّ ، فَإِنَّ طَبِيعَةَ الْإِنْسَانِ كَطَبِيعَةِ النَّبَاتِ يَنْتَهِي عِنْدَ جَفَافِ عُودِهِ .

التهـــذيب

الفضـائل

١ ــ ضَبْطُ النَّفْسِ وَالحِـلْمُ

(ا) ضَبْطُ النَّفْسِ :

(١) كَانَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَرْضٌ تُجَاوِرُ أَرْضاً لِمُعَاوِيَةَ ٱبْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا أَتْبَاعٌ يَعْمَلُونَ فِي أَرْضِه ، فَدَخَلَ أَتْبَاعُ مُعَاوِيَةَ أَرْضَ ٱبْنِ الزُّبَيْرِ وَأَتْلَفُوا زَرْعَهَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ٱبْنُ الزُّبَيْرِ يَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَتْبَاعَكَ قَدْ دَخَلُوا أَرْضِي وَأَفْسَدُوا فِيهَا ، فَامْنَعْهُمْ وَإِلَّا كَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ . فَلَمَّا اطَّلَعَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْكِتَابِ دَفَعَهُ إِلَى ٱبْنِهِ يَزِيدَ وَقَالَ : مَا رَأْيُكَ ؟ قَالَ أَرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ بِجَيْشٍ يَأْتِيكَ بِرَأْسِهِ ، فَقَالَ بِئْسَ مَا أَشَرْتَ بِهِ عَلَيَّ . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ كِتَاباً جَاءَ فِيهِ : سَاءَنِي

مَاسَاءَكَ ، وَالدُّنيا كُلُّهَا هَيِّنَةٌ عِنْدِى فِى جَنْبِ رِضَاكَ ، نَزَلْتُ عَنْ أَرْضِى لَكَ ، فَأَضِفْهَا إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَتْبَاعِ وَالْأَمْوَالِ ، وَالسَّلَامُ .

فَمِنْ هٰذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يُقَابِلْ جَفْوَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِمِثْلِهَا ، بَلْ ضَبَطَ نَفْسَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى أَنْ تَبْدُوَ فِى مَظْهَرٍ نَبِيلٍ مِنَ الْمُرُوءَةِ وَالسَّخَاءِ .

(٢) كَانَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِىُّ جَالِسًا بِفِنَاءِ دَارِهِ مُحْتَبِيًا يُحَدِّثُ قَوْمَهُ ، فَأُتِىَ لَهُ بِرَجُلٍ مَكْتُوفٍ وَآخَرَ مَقْتُولٍ ، وَقِيلَ لَهُ : هَذَا ابْنُ أَخِيكَ قَتَلَ ابْنَكَ . فَلَمْ يَقْطَعْ حَدِيثَهُ ، وَلَمْ يَحُلَّ حَبْوَتَهُ ؛ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ رَمَيْتَ نَفْسَكَ بِسَهْمِكَ ، وَقَتَلْتَ ابْنَ عَمِّكَ . ثُمَّ قَالَ لِابْنٍ لَهُ آخَرَ : قُمْ يَا بُنَيَّ فَادْفِنْ أَخَاكَ ، وَحُلَّ كِتَافَ ابْنِ عَمِّكَ ، وَاحْمِلْ إِلَى أُمِّكَ مِائَةَ نَاقَةٍ دِيَةَ ابْنِهَا فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ .

فَانْظُرْ كَيْفَ اسْتَطَاعَ قَيْسٌ أَنْ يَمْلِكَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَجْعَلْ لِلْجَزَعِ وَالْغَضَبِ إِلَى قَلْبِهِ سَبِيلاً ، وَعَالَجَ الْأَمْرَ بِحِكْمَةٍ وَأَنَاةٍ وَصَبْرٍ جَمِيلٍ .

(٣) اشْتَرَى أَحَدُ التُّجَّارِ صَفْقَةً كَبِيرَةً مِنَ الْقُطْنِ ، وَكَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَنَالَ مِنْهَا رِبْحًا وَافِرًا ، غَيْرَ أَنَّ الْحَظَّ لَمْ يُسَاعِدْهُ ، فَنَزَلَتِ الْأَسْعَارُ ، وَكَسَدَتِ السُّوقُ ، وَخَسِرَ التَّاجِرُ رِبْحَهُ وَرَأْسَ مَالِهِ ، فَاسْتَسْلَمَ لِلْجَزَعِ وَالْيَأْسِ حَتَّى أَصَابَهُ شَلَلٌ عَانَى مِنْهُ الْآلَامَ وَالْأَسْقَامَ .

فَضَبْطُ النَّفْسِ أَلَّا يَسْتَسْلِمَ الْإِنْسَانُ لِلْجَزَعِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ ، وَأَلَّا يَتَسَرَّعَ فِيمَا تَدْفَعُهُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَلَا يَخْضَعَ لِمُيُولِهِ وَشَهَوَاتِهِ ، فَيَعْمَلَ مَا يَسْتَوْجِبُ الْمُؤَاخَذَةَ أَوْ يُعْقِبُ النَّدَمَ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي يُعَوِّدُ نَفْسَهُ عَلَى هٰذِهِ الْخَصْلَةِ الْحَمِيدَةِ يَكُونُ لَهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مَكَانَةٌ سَامِيَةٌ ، وَتَتَوَافَرُ لَهُ أَسْبَابُ

الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ النَّدَمِ وَالْمَذَمَّةِ ، لِأَنَّ مَنْ يَنْقَادُ لِلْحُزْنِ وَسُرْعَةِ التَّأَثُّرِ يَضْعُفُ جِسْمُهُ وَتَكْثُرُ أَمْرَاضُهُ . وَقَدْ يَجُرُّهُ الْغَضَبُ إِلَى أَنْ يَنْطَلِقَ لِسَانُهُ بِالسَّبِّ ، وَيَدُهُ بِالضَّرْبِ ، وَيُصْبِحَ كَالْحَيَوَانِ الْهَائِجِ ، لا يَمْلِكُ حَوَاسَّهُ ، وَلَا يَدْرِى عَوَاقِبَ عَمَلِهِ .

٢ — الْحِلْمُ

(١) ذَهَبَ أَحَدُ الْأَشْخَاصِ إِلَى مَحَلٍّ تِجَارِيٍّ لِيَشْتَرِيَ حُلَّةً فَسَاوَمَ التَّاجِرَ عَلَى ثَمَنٍ أَقَلَّ مِنْ قِيمَتِهَا ، فَغَضِبَ التَّاجِرُ مِنْهُ وَأَسَاءَ إِلَيْهِ بِبَذِيءِ الْكَلَامِ ، فَانْصَرَفَ مُغْضَبًا ، وَلَمْ يَشْتَرِ مَا يُرِيدُ وَتَكَرَّرَ ذٰلِكَ مِنَ التَّاجِرِ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ، فَذَاعَ بَيْنَ النَّاسِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُرْعَةِ الْغَضَبِ وَعَدَمِ ضَبْطِهِ نَفْسَهُ ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ ، وَبَارَتْ تِجَارَتُهُ ، وَظَهَرَ إِفْلَاسُهُ .

(٢) وَاعْتَادَ مَخْدُومٌ أَنْ يُحَاسِبَ خَدَمَهُ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ ، وَيُؤْذِيَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالشَّتْمِ لِأَقَلِّ هَفْوَةٍ ، وَلَا يُرْشِدُهُمْ

إِلَى خَطَئِهِمْ ، أَوْ يَغْتَفِرَ لَهُمْ تَقْصِيرًا ، فَكَانُوا يَتْرُكُونَ خِدْمَتَهُ لِبَذَاءَةِ لِسَانِهِ وَسُرْعَةِ غَضَبِهِ ، وَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَخْدُمُهُ ، فَنَالَهُ بِسَبَبِ ذٰلِكَ مَشَقَّةٌ عَظِيمَةٌ .

فَلَوْ أَنَّ التَّاجِرَ تَحَلَّمَ ، وَوَسَّعَ صَدْرَهُ ، وَأَلَانَ قَوْلَهُ مَا كَسَدَتْ بِضَاعَتُهُ ، وَلَوْ أَنَّ الْمَخْدُومَ لَمْ يَتَشَدَّدْ مَعَ خَدَمِهِ وَتَجَاوَزَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ تَقْصِيرِهِمْ لَوَجَدَ مَنْ يَخْدُمُهُ وَيَقْضِي لَهُ مَصَالِحَهُ .

لِذٰلِكَ كَانَ الْحِلْمُ — وَهُوَ تَجَنُّبُ الِانْفِعَالِ النَّفْسِيِّ وَعَدَمُ الِاسْتِرْسَالِ فِي الْغَضَبِ — مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي تَجْلِبُ الْخَيْرَ وَتَدْفَعُ الشَّرَّ . وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ النَّاسِ حِلْمًا ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَذَبَ رِدَاءَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً أَثَّرَتْ فِي عُنُقِهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَتَبَسَّمَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِشَيْءٍ .

وَمِمَّنْ ضُرِبَ بِهِمُ الْمَثَلُ فِي الْحِلْمِ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ حَتَّى قَالَ لَهُ ابْنُهُ يَزِيدُ : لَقَدْ أَفْرَطْتَ فِي الْحِلْمِ حَتَّى خِفْتُ أَنْ يُعَدَّ ذٰلِكَ مِنْكَ جُبْنًا ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : "لَيْسَ مَعَ الْحِلْمِ نَدَامَةٌ وَلَا مَذَمَّةٌ" .

٣ — الْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ

حُكِيَ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ أَنَّ غُلَامًا لَهُ وَقَفَ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى يَدَيْهِ ، فَوَقَعَ الْإِبْرِيقُ مِنْ يَدِ الْغُلَامِ فِي الطَّسْتِ ، فَطَارَ الرَّشَاشُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَنَظَرَ جَعْفَرٌ إِلَيْهِ نَظْرَةَ غَضَبٍ ، فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ : وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ، قَالَ : قَدْ كَظَمْتُ غَيْظِي ، قَالَ : وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، قَالَ : قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ ، قَالَ : وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ، قَالَ : اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللّٰهِ الْكَرِيمِ .

وَيُحْكَى عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّهُ قُدِّمَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَسْرَى فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : نَحْنُ الْآنَ فِي قَبْضَةِ يَدِكَ

وَبِنَا جُوعٌ وَعَطَشٌ ، فَأَطْعِمْنَا وَٱسْقِنَا ثُمَّ اقْتُلْنَا . فَأَمَرَ لَهُمْ بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ . وَلَمَّا فَرَغُوا قَالُوا لَهُ : كُنَّا قَبْلَ الْأَكْلِ أَسْرَى عِنْدَكَ ، وَصِرْنَا بَعْدَهُ أَضْيَافَكَ ، فَانْظُرْ مَا تَصْنَعُ بِأَضْيَافِكَ . قَالَ : قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ ، فَقَالُوا : أَيُّهَا الْأَمِيرُ : مَا نَدْرِى أَىُّ يَوْمٍ أَشْرَفُ لَكَ ؟ أَيَوْمُ تَغَلُّبِكَ عَلَيْنَا أَمْ يَوْمُ عَفْوِكَ عَنَّا ؟ فَأَمَرَ لَهُمْ بِمَالٍ وَكُسْوَةٍ .

فَالصَّفْحُ عَمَّنْ يُسِيءُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى مُعَاقَبَتِهِ وَالِانْتِقَامِ مِنْهُ ، مِنْ أَشْرَفِ ٱلْخِلَالِ وَأَكْثَرِهَا فَائِدَةً ، لِأَنَّهُ يَجْعَلُ الْعَدُوَّ صَدِيقًا مُوَالِيًا ، تَنْتَفِعُ بِهِ وَتَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ تَحْذَرُهُ وَتَخْشَى شَرَّهُ وَكَيْدَهُ ، وَلِذٰلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ ، وَتَغَلَّبَ عَلَى أَهْلِهَا الَّذِينَ آذَوْهُ وَأَخْرَجُوهُ مِنْهَا ، وَظَنُّوا أَنَّهُ سَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ ، قَالَ لَهُمْ : مَا تَظُنُّونَ أَنِّى فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ

وَٱبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ . قَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ . وَعَفَا عَنْهُمْ ، فَكَانَتْ نَتِيجَةُ ذٰلِكَ أَنْ أَسْلَمَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ ، وَصَارُوا مِنْ أَتْبَاعِهِ الَّذِينَ أَيَّدُوهُ وَنَصَرُوهُ .

٤ — التَّوَاضُعُ

إِذَا كُنْتَ غَنِيًّا ، أَوْ مِنْ أُسْرَةٍ شَرِيفَةٍ ، أَوْ ذَا مَنْصِبٍ كَبِيرٍ فَلَمْ تَفْخَرْ بِمَالِكَ ، وَلَمْ تَتَعَاظَمْ بِشَرَفِ أُسْرَتِكَ ، وَلَمْ تَتَرَفَّعْ عَلَى النَّاسِ بِمَنْصِبِكَ سُمِّيتَ مُتَوَاضِعًا ، وَأَحَبَّكَ النَّاسُ وَأَلِفُوكَ ، فَأَمَّا الْفُقَرَاءُ فَيُؤَدُّونَ أَعْمَالَكَ بِقُلُوبٍ مُنْشَرِحَةٍ وَنُفُوسٍ رَاضِيَةٍ ، وَيَكُونُونَ عَوْنًا لَكَ عَلَى تَنْمِيَةِ مَالِكَ ، وَأَمَّا إِخْوَانُكَ وَمُعَاشِرُوكَ فَيَحْرِصُونَ عَلَى مَوَدَّتِكَ ، وَيَسْعَوْنَ لِمَا فِيهِ رَاحَتُكَ ، وَيَدْفَعُونَ عَنْكَ كُلَّ أَذًى وَمَكْرُوهٍ ، وَأَمَّا مَنْ تَحْتَ رِيَاسَتِكَ فَيَحْتَرِمُونَكَ بِإِخْلَاصٍ ، وَيَنْشَطُونَ فِى تَأْدِيَةِ أَعْمَالِهِمْ وَيُقَدِّمُونَ لَكَ النُّصْحَ ، وَيُسَاعِدُونَكَ عَلَى تَأْدِيَةِ وَاجِبَاتِكَ فَتَتَقَدَّمُ وَتَرْقَى .

(١) وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ الْمَثَلَ الْكَامِلَ فِى التَّوَاضُعِ وَعَدَمِ التَّكَبُّرِ .

قَدِمَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ عَدِىُّ بْنُ حَاتِمٍ — وَكَانَ نَصْرَانِيًّا — فَأَخَذَهُ إِلَى بَيْتِهِ ، وَبَيْنَمَا هُمَا فِى الطَّرِيقِ إِذْ قَابَلَتْ رَسُولَ اللهِ عَجُوزٌ ضَعِيفَةٌ ، فَاسْتَوْقَفَتْهُ زَمَنًا طَوِيلًا تَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ أُمُورِهَا ، فَوَقَفَ لَهَا حَتَّى انْتَهَتْ ، فَأُعْجِبَ عَدِىٌّ بِتَوَاضُعِهِ . وَلَمَّا وَصَلَا بَيْتَ الرَّسُولِ قَدَّمَ إِلَيْهِ وِسَادَةً لِيَجْلِسَ عَلَيْهَا ، وَجَلَسَ النَّبِىُّ عَلَى الْأَرْضِ ، وَصَارَ يُحَدِّثُ ضَيْفَهُ حَتَّى اقْتَنَعَ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا ، فَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ .

(٢) خَرَجَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ (وَهُوَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ) يُشَيِّعُ جَيْشَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ لِحَرْبِ الرُّومِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مَاشِيًا وَأُسَامَةُ رَاكِبًا ، فَقَالَ أُسَامَةُ : " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَتَرْكَبَنَّ أَوْ لَأَنْزِلَنَّ " فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : " وَاللهِ لَا نَزَلْتَ وَلَا رَكِبْتُ ، وَمَا عَلَىَّ أَنْ أُغَبِّرَ قَدَمَىَّ سَاعَةً فِى سَبِيلِ اللهِ " .

٥ — عِفَّةُ النَّفْسِ

إِذَا قُدِّمَ إِلَيْكَ طَعَامٌ فَتَنَاوَلْتَ مِنْهُ الْقَلِيلَ مِنْ غَيْرِ شَرَاهَةٍ وَلَا طَمَعٍ ، أَوْ مَنَعْتَ نَفْسَكَ عَنْ ٱلاسْتِرْسَالِ فِى رَغَبَاتِهَا وَلَمْ تُعْطِهَا كُلَّ مَا تَطْلُبُ ، فَأَنْتَ عَفِيفُ النَّفْسِ ، وَذٰلِكَ يُفِيدُكَ صِحَّةَ الْجِسْمِ ، وَسَلَامَةَ الْعَقْلِ ، وَحِفْظَ الْمَالِ ، وَاحْتِرَامَ النَّاسِ لَكَ .

أَمَّا إِذَا تَغَلَّبَتْ عَلَيْكَ مُيُولُكَ وَجَارَيْتَ نَفْسَكَ فِى مَطَالِبِهَا فَقَدْ أَسَأْتَ إِلَيْهَا ، فَيَعْتَلُّ جِسْمُكَ ، وَيَضِيعُ شَرَفُكَ ، وَيَضْعُفُ عَقْلُكَ ، وَرُبَّمَا جَرَّكَ ذٰلِكَ إِلَى السِّجْنِ مَعَ الْآثِمِينَ .

(١) لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلًا عَالِيًا فِى الْعِفَّةِ وَالْقَنَاعَةِ ، فَكَانَ يَكْتَفِى مِنَ الطَّعَامِ بِمَا يَجِدُ ، وَمَا مَلَأَ بَطْنَهُ مِنْ طَعَامٍ قَطُّ ، وَمَا عَابَ طَعَامًا قُدِّمَ إِلَيْهِ . وَقَدْ

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِـهِ . بِحَسْبِ ابْنِ آدمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَـهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَاعِلًا فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ .

(٢) غَضِبَ الخَـلِيفَةُ الْمَنْصُورُ عَلَى مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ لِوِشَايَةٍ دَبَّرَهَا أَعْدَاؤُهُ ، فَأَرَادَ ٱلِانْتِقَامَ مِنْهُ ، فَهَرَبَ مَعْنٌ بَعْدَ أَنْ تَنَـكَّرَ وَغَيَّرَ شَكْلَهُ وَثِيَـابَهُ ، فَجَعَلَ الْخَـلِيفَةُ جَائِزَةً كَبِيرَةً لِمَنْ يَقْبِضُ عَلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ عَبْدٌ أَسْوَدُ ، وَبَعْدَ أَنْ تَفَرَّسَ فِيهِ عَرَفَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ طَلِبَةُ أَمِيرِ الْمُـؤْمِنِينَ ، فَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ مَعْنٌ كَيْ يَتْرُكَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ فِي مُقَابِلِ ذَٰلِكَ عِقْداً مِنَ اللُّؤْلُؤِ الثَّمِينِ . فَقَالَ لَهُ الْعَبْـدُ : إِنَّ جُودَكَ قَدْ مَلأَ الْبِقَاعَ وَطَوَّقَ الْأَعْنَاقَ ، وَإِنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ ، وَجُعْلُ أَمِيرِ الْمُـؤْمِنِينَ كَبِيرٌ وَعِقْدُكَ ثَمِينٌ ، وَلٰـكِنِّي عَفِيفُ النَّفْسِ ، فَأَبْقِ عَلَيْكَ عِقْدَكَ وَٱذْهَبْ فِي رِعَايَةِ اللهِ .

٦ ـ السَّخَاءُ

إِذَا أَعْطَاكَ اللهُ مالًا وبَسَطَ لَكَ فِي رِزْقِكَ فَجُدْتَ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَلَى أَقَارِبِكَ وَأَصْدِقَائِكَ فَأَنْتَ سَخِيٌّ مَشْكُورٌ ، وَإِذَا كَنَزْتَهُ وَلَمْ تَبْذُلْ مِنْهُ لِقَرِيبٍ أَوْ صَدِيقٍ أَوْ مُعْوِزٍ أَوْ لِعَمَلٍ خَيْرِيٍّ فَأَنْتَ بَخِيلٌ مَذْمُومٌ، وَإِنَّ الَّذِي يَبْذُلُ مِنْ مَالِهِ فِي مَعُونَةِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْمُحْتَاجِينَ يَسْتَحِقُّ حَمْدَهُمْ، وَيَكْسِبُ مَوَدَّتَهُمْ، وَتَجْتَمِعُ قُلُوبُهُمْ عَلَى مَحَبَّتِهِ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَهُ كُلَّ خَيْرٍ ، أَمَّا مَنْ يَبْخَلُ بِمَالِهِ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يُفَرِّجْ كُرْبَةً، وَلَمْ يُعِنْ بَائِساً ، فَإِنَّهُمْ يَذُمُّونَهُ وَيَحْرِمُونَهُ مَعُونَتَهُمْ. وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَ الْمُنْفِقَ السَّخِيَّ عِوَضاً كَثِيراً ، وَأَوْعَدَ الْمُمْسِكَ الْبَخِيلَ تَلَفاً ، بِمَا يُسَلِّطُهُ عَلَى مَالِهِ مِنَ الْآفَاتِ ، وَمَا يُنْزِلُهُ بِهِ مِنَ الْمَصَائِبِ.

(١) كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَاناً، فَعُوتِبَ عَلَى إِسْرَافِهِ فِي الْبَذْلِ ، فَكَانَ جَوَابُهُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ

عَوَّدَنِي أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيَّ ، وَعَوَّدْتُهُ أَنْ أَتَفَضَّلَ عَلَى عِبَادِهِ ، فَأَخَافُ إِنْ قَطَعْتُ أَنْ يَقْطَعَ عَنِّي .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَشْكُرَ اللّٰهَ عَلَى نِعْمَةٍ بِمِثْلِ الْإِنْعَامِ بِهَا عَلَى خَلْقِ اللّٰهِ .

(٢) كَانَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ كِبَارِ الْأَغْنِيَاءِ ، وَقَدْ أَخْرَجَتْ لَهُ أَرْضُهُ أَلْفَ إِرْدَبٍّ مِنَ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ فَأَمَرَ بِبَيْعِهَا وَقَبْلَ أَنْ يَقْبِضَ الثَّمَنَ قِيلَ لَهُ : إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْقُوتِ فَطَلَبَ مِنَ التُّجَّارِ أَنْ يَفْسَخُوا الْبَيْعَ . فَقَالُوا لَهُ : إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ زِيَادَةً فِي الثَّمَنِ زِدْنَا ، فَأَقْسَمَ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ الْبَيْعَ لِغَيْرِهِمْ ، فَفَسَخُوا الْعَقْدَ ، فَاسْتَرْجَعَ أَلْفَ الْإِرْدَبِّ وَوَزَّعَهَا جَمِيعَهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ .

(٣) وَحَصَلَ فِي الْمَدِينَةِ زَمَنَ أَبِي بَكْرٍ مَجَاعَةٌ ، وَأَشْرَفَ أَهْلُهَا عَلَى الْهَلَاكِ ، فَجَاءَ لِسَيِّدِنَا عُثْمَانَ أَلْفُ جَمَلٍ مِنَ الشَّامِ

تَحْمِلُ قَمْحًا وَزَيْتاً وَطَعَاماً ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ التُّجَّارُ وَطَلَبُوا مِنْهُ شِرَاءَ هٰذِهِ الْبِضَاعَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ: كَمْ تُرْبِحُونَنِى عَلَى شِرَائِى مِنَ الشَّامِ ؟ فَقَالُوا : الدِّرْهَمَ دِرْهَمَيْنِ . قَالَ : قَدْ أُعْطِيتُ زِيَادَةً . قَالُوا أَرْبَعَةً قَالَ : قَدْ أُعْطِيتُ زِيَادَةً . قَالُوا : خَمْسَةً . قَالَ : أُعْطِيتُ أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا . فَقَالُوا لَهُ : لَيْسَ فِى الْمَدِينَةِ تُجَّارٌ غَيْرُنَا ، فَمَنْ ذَا الَّذِى أَعْطَاكَ ؟ قَالَ : إِنَّ اللّٰهَ أَعْطَانِى بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشَرَةً ، فَهَلْ عِنْدَكُمْ زِيَادَةٌ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَأُشْهِدُكُمْ مَعْشَرَ التُّجَّارِ أَنَّهَا صَدَقَةٌ عَلَى فُقَرَاءِ الْمَدِينَةِ .

٧ — ترك الحَلِفِ

نُشَاهِدُ كَثِيراً مِنَ التُّجَّارِ يُكْثِرُونَ الْحَلِفَ لِلْمُشْتَرِينَ تَرْوِيجاً لِبِضَاعَتِهِمْ ، وَتَرْغِيباً فِى شِرَائِهَا . فَقَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّونَهُمْ صَادِقِينَ فَيَشْتَرُونَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ يَتَبَيَّنُ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ مَا اشْتَرَوْهُ رَدِىءٌ لَا يُسَاوِى مَا دَفَعُوا مِنَ الثَّمَنِ ، وَالْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ

لَا يُصَدِّقُونَهُمْ ، لِأَنَّ كَثْرَةَ حَلِفِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى مُحَاوَلَةِ الْغِشِّ وَتَحْسِينِ الرَّدِيءِ ، وَلِذٰلِكَ يَنْصَرِفُونَ عَنْهُمْ إِلَى الْمَحَالِّ الَّتِي اعْتَادَ أَصْحَابُهَا تَعْيِينَ الثَّمَنِ وَعَدَمَ الْمُسَاوَمَةِ .

وَاعْتَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَحْلِفَ بِاللّٰهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ لِحَمْلِ السَّامِعِينَ عَلَى تَصْدِيقِ قَوْلِهِ . وَغَابَ عَنْهُ أَنَّ الْعُقَلَاءَ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ صَادِقًا حَقًّا مَا اسْتَعَانَ بِالْحَلِفِ ، وَلِذَا لَا يَقَعُ كَلَامُهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْقِعَ الْقَبُولِ ، وَلَا يَثِقُونَ بِمَا يَقُولُ ، فَتَنْحَطُّ مَنْزِلَتُهُ ، وَتَضْعُفُ الثِّقَةُ بِهِ ، وَلَا يُعْتَمَدُ عَلَى كَلَامِهِ ، هٰذَا إِلَى أَنَّ اسْمَ اللّٰهِ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى تَحْقِيقِ غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، فَيَجِبُ أَلَّا يَجْرِيَ بِهِ اللِّسَانُ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ تَعْظِيمًا لَهُ تَعَالَى وَإِجْلَالًا .

وَإِذَا دعَتِ الضَّرُورَةُ إِلَى الحَلِفِ فَلْيَكُنْ بِاللهِ تعَالَى أَوْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ ، ولاَ يحْلِفْ بِالأَبِ أَو الجَدِّ أَو الشَّرَفِ أَوِ الذِّمَّةِ أَو النَّبِيِّ أَو الْوَلِيِّ لِقَوْلِهِ عَلَيهِ السَّلاَمُ : "مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَو لِيَذَرْ" أَىْ يَتْرُكْ .

٨ — اجْتِنَابُ سُوءِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ

(ا) النَّهْىُ عَنْ سُوءِ الظَّنِّ :

(١) تَفَقَّدَ أَحَدُ التُّجَّارِ حَافِظَةَ نُقُودِهِ فَلَمْ يَجِدْهَا وَبَحَثَ عَنْهَا فِي الْمَنْزِلِ كَثِيرًا بِغَيْرِ جَدْوَى ، فَاتَّهَمَ خَادِمًا عِنْدَهُ بِسَرِقَتِهَا وَلَمَّا سَأَلَهُ أَنْكَرَ أَخْذَهَا ، فَأَبْلَغَ التَّاجِرُ الشُّرْطَةَ ، فَقَبَضُوا عَلَى الْخَادِمِ وَزَجُّوا بِهِ فِي السِّجْنِ .

وَبَعْدَ أُسْبُوعٍ وَجَدَ التَّاجِرُ الْحَافِظَةَ بَيْنَ أَوْرَاقِ خِزَانَةِ مَتْجَرِهِ فَسَارَعَ إِلَى إِبْلَاغِ الشُّرْطَةِ ، فَأَطْلَقُوا الْخَادِمَ بَعْدَ أَنْ ذَاقَ أَلْوَانًا

مِنَ الْعَذَابِ . وَنَدِمَ التَّاجِرُ عَلَى تَعَجُّلِهِ فِي سُوءِ ظَنِّهِ بِالْخَادِمِ وَاتِّهَامِهِ .

(٢) أَرْسَلَ رَجُلٌ إِلَى أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ بِالْقَاهِرَةِ خِطَابًا يُخْبِرُهُ بِمَرَضٍ أَلَمَّ بِهِ ، وَأَنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَبْلَغِ الَّذِي كَانَ قَدِ اقْتَرَضَهُ مِنْهُ ، وَانْتَظَرَ مُدَّةً فَلَمْ يَظْفَرْ بِجَوَابٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ خِطَابًا ثَانِيًا ثُمَّ ثَالِثًا ، فَكَانَ نَصِيبُهُمَا كَالْأَوَّلِ ، فَاسْتَاءَ الرَّجُلُ مِنْ فِعْلِ صَدِيقِهِ ، وَصَارَ يَشْكُوهُ لِكُلِّ مَنْ عَرَفَهُ ، وَيَرْمِيهِ بِقِلَّةِ الْمُرُوءَةِ ، وَجُحُودِ الْمَعْرُوفِ ، وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِ الصَّدَاقَةِ ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ هٰذَا الصَّدِيقَ قَدْ سَافَرَ فِي بَعْثَةٍ إِلَى الْبِلَادِ الْأُورُبِّيَّةِ وَلَمْ يَتَسَلَّمْ شَيْئًا مِنْ خِطَابَاتِهِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ ، فَأَسِفَ عَلَى أَنْ تَعَجَّلَ بِسُوءِ الظَّنِّ بِصَدِيقِهِ وَاتِّهَامِهِ بِعَدَمِ الْوَفَاءِ .

(٣) أَغْلَقَ أَحَدُ التُّجَّارِ مَتْجَرَهُ وَذَهَبَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ ظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُحْكِمْ إِغْلَاقَهُ فَعَادَ فِي سَاعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ لِيَسْتَوْثِقَ مِنْهُ ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَضَعُ الْمِفْتَاحَ فِي الْقُفْلِ أَبْصَرَهُ الشُّرَطِيُّ ، فَنَادَاهُ فَلَمْ يُصْغِ إِلَيْهِ ، فَظَنَّهُ لِصًّا يُحَاوِلُ سَرِقَةَ مَا فِي الْمَتْجَرِ ؛ فَأَطْلَقَ عَلَيْهِ رَصَاصَةً كَادَتْ تَقْضِي عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ أَسْرَعَ صَوْبَهُ . وَمَا كَانَ أَشَدَّ دَهْشَتَهُ وَاضْطِرَابَهُ حِينَمَا وَجَدَ الْمُصَابَ هُوَ صَاحِبُ الدُّكَّانِ .

مِمَّا تَقَدَّمَ يَتَّضِحُ لَكَ أَنَّ التَّسَرُّعَ فِي إِسَاءَةِ الظَّنِّ بِالنَّاسِ ، وَعَدَمَ التَّرَوِّي فِي الْحُكْمِ عَلَى مَا يَبْدُو مِنْ مَظَاهِرِهِمْ ، وَوَصْفَهُمْ بِصِفَاتٍ قَبِيحَةٍ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ ، كُلُّ أُولٰئِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ وَتُنْتِجُ أَسْوَأَ الْآثَارِ . وَقَدْ نَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْ ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ : " يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ " وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : " يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا

بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِ دَمَهُ وَعِرْضَهُ وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنَّ السُّوءِ .

هٰذَا ، وَلَا يُعَدُّ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ الْمَذْمُومِ الظَّنُّ بِمَنْ قَدِ ٱعْتَادَ ٱرْتِكَابَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْآثَامِ ، فَهٰؤُلَاءِ يَجِبُ الْاحْتِرَاسُ مِنْهُمْ ، وَإِسَاءَةُ الظَّنِّ بِهِمْ لِيَأْمَنَ الْإِنْسَانُ شَرَّهُمْ وَيَنْجُوَ مِنْ مَكَايِدِهِمْ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : احْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ .

(ب) النَّهْيُ عَنِ التَّجَسُّسِ :

(١) كَانَ أَحَدُ التَّلَامِيذِ يُقِيمُ مَعَ رَفِيقٍ لَهُ فِي مَنْزِلٍ وَاحِدٍ ، فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ خِطَابٌ فَضَّ رَفِيقُهُ غِلَافَهُ خِفْيَةً وَاطَّلَعَ عَلَى مَا فِيهِ ثُمَّ أَلْصَقَهُ كَمَا كَانَ ، وَبَعْدَ عِدَّةِ شُهُورٍ فَطِنَ ذٰلِكَ التِّلْمِيذُ لِمَا يَفْعَلُهُ زَمِيلُهُ ، فَأَهَانَهُ إِهَانَةً شَدِيدَةً وَقَطَعَ صِلَتَهُ بِهِ وَعَادَاهُ .

(٢) جَلَسَ أَخَوَانِ يَتَحَادَثَانِ فِى أَمْرٍ خَاصٍّ بِهِمَا ، وَطَالَ بَيْنَهُمَا الْحَدِيثُ ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُمَا شَخْصٌ أَجْنَبِيٌّ وَأَخَذَ يَتَسَمَّعُ إِلَى حَدِيثِهِمَا وَمَا يَدُورُ بَيْنَهُمَا لِيَقِفَ عَلَى أَسْرَارِهِمَا ، فَفَطِنَا إِلَيْهِ وَانْهَالَا عَلَيْهِ بِاللَّوْمِ وَالتَّوْبِيخِ عَلَى خِسَّتِهِ وَدَنَاءَةِ خُلُقِهِ، وَرَغْبَتِهِ فِى الْوُقُوفِ عَلَى أَسْرَارِ النَّاسِ .

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ التَّجَسُّسَ — وَهُوَ الْبَحْثُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَالتَّفْتِيشُ عَنْ أَسْرَارِهِمْ قَصْدَ إِذَاعَتِهَا وَالتَّشْهِيرِ بِهِمْ — مِنَ الْأُمُورِ الْمَمْقُوتَةِ الشَّائِنَةِ، فَإِنَّ فِى ذٰلِكَ فَضِيحَةً لَهُمْ وَتَعَرُّضًا لِمَا لَا يُفِيدُ .

وَلَيْسَ مِنَ التَّجَسُّسِ الْمَذْمُومِ مَا تَعْمَلُهُ الْحُكُومَةُ مِنْ بَثِّ الْعُيُونِ وَالْأَرْصَادِ (الشُّرْطَةِ السِّرِّيَّةِ) لِمَعْرِفَةِ حَرَكَاتِ اللُّصُوصِ وَالْمُجْرِمِينَ كَىْ تَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُونَ ارْتِكَابَهُ مِنَ الْجَرَائِمِ، فَيَسْتَتِبَّ الْأَمْنُ وَتَسُودَ الطُّمَأْنِينَةُ ، وَيَعِيشَ النَّاسُ آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَذٰلِكَ أَهَمُّ وَاجِبَاتِ الْحُكُومَاتِ الرَّاقِيَةِ .

كَذٰلِكَ لَيْسَ مِنَ التَّجَسُّسِ الْمَذْمُومِ مَا يَقُومُ بِهِ الْوُلَاةُ وَالْحُكَّامُ مِنَ الْعَسَسِ لَيْلاً، وَتَفَقُّدِ رَعِيَّتِهِمْ لِلْوُقُوفِ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَتَوْفِيرِ الْخَيْرِ لَهُمْ. مِنْ ذٰلِكَ أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَسَمِعَ أَنِينَ امْرَأَةٍ، وَلَمَّا اسْتَفْسَرَ عَنْ شَأْنِهَا عَلِمَ أَنْ قَدْ جَاءَهَا الْمَخَاضُ وَلَيْسَ عِنْدَهَا مَنْ يُعِينُهَا، فَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ ثُمَّ رَجَعَ وَمَعَهُ زَوْجُهُ السَّيِّدَةُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ أَخَذَتْ مَعَهَا مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَرْأَةُ حِينَ الْوِلَادَةِ، فَدَخَلَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ عَلَى الْمَرْأَةِ، وَأَخَذَ عُمَرُ وَزَوْجُهَا يُعِدَّانِ الطَّعَامَ. وَلَمَّا وَضَعَتْ قَالَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ: بَشِّرْ صَاحِبَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِغُلَامٍ، فَاضْطَرَبَ الرَّجُلُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ، إِنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى الْوُلَاةِ وَالْحُكَّامِ أَنْ يَقِفُوا عَلَى أَحْوَالِ مَنْ وَلَّاهُمُ اللهُ أُمُورَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَنْهَا مَسْئُولُونَ.

(ج) النَّهْىُ عَنِ الْغِيبَـةِ :

(١) جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ دِينِهَا ، فَلَمَّا انصرفتْ قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : يَارَسُولَ اللهِ مَا أَقْصَرَهَا . فَقَالَ النَّبِيُّ : مَهْلًا ، إِيَّاكِ والْغِيبَةَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي وَصَفْتُهَا بِأَمْرٍ هُوَ فِيهَا ، فَقَالَ أَجَلْ ، وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَكَانَ قَوْلُكِ بُهْتَاناً (كَذِباً) .

(٢) دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُـؤْمِنِينَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَاغْتَابَ أَحَدَ الْمُسْلِمِينَ ، فَغَضِبَ عَلِيٌّ وَقَالَ لَهُ : يَا هٰذَا ، سَنَسْأَلُ عَمَّـا قُلْتَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً مَقَتْنَاكَ (كَرِهْنَاكَ) وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً عَاقَبْنَاكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُقِيلَكَ (نَصْفَحَ عَنْكَ) أَقَلْنَاكَ . فَقَالَ : أَقِلْنِي يَا أَمِيرَ الْمُـؤْمِنِينَ ، فَأَقَالَهُ عَلَى أَلَّا يَعُودَ إِلَى ذٰلِكَ مَرَّةً أُخْرَى .

فَالغِيبَةُ أَنْ يَذْكُرَ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ بِمَا يَكْرَهُ وَلَوْ كَانَ فِيهِ ، وَيَذُمَّهُ بِمَا يَحُطُّ مِنْ قَدْرِهِ سَوَاءٌ أَكَانَ مَا يَذْكُرُهُ فِي خَلْقِهِ أَوْ خُلُقِهِ أَوْ حِرْفَتِهِ . وَكَمَا يَحْرُمُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَغْتَابَ أَحَدًا ، كَذَلِكَ يَحْرُمُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ غِيبَةَ أَحَدٍ حَتَّى لَا يَكُونَ شَرِيكَ الْقَائِلِ فِي الْإِثْمِ ، قَالَ تَعَالَى " وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ".

وَإِنَّمَا كَانَتِ الْغِيبَةُ مُحَرَّمَةً مَذْمُومَةً لِأَنَّهَا تُفْسِدُ الْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ ، وَتَغْرِسُ الْحِقْدَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْقُلُوبِ ، وَتَجْلِبُ الْعَدَاوَةَ وَالنُّفُورَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهٰذَا يُؤَدِّي إِلَى تَفَرُّقِ كَلِمَتِهِمْ وَتَمْزِيقِ شَمْلِهِمْ .

وَلَا يُعَدُّ مِنَ الْغِيبَةِ : أَنْ تُطْلِعَ وُلَاةَ الْأُمُورِ عَلَى مَا تَعْرِفُهُ مِنْ أَحْوَالِ الْأَشْرَارِ كَيْ يَمْنَعُوا مَا يَقْصِدُونَهُ مِنَ الْجَرَائِمِ ، وَلَا أَنْ تُؤَدِّيَ الشَّهَادَةَ أَمَامَ الْقَاضِي بِمَا تَعْرِفُهُ مِنْ أَخْلَاقِ شِرِّيرٍ آثِمٍ

(د) النَّهْىُ عَنِ النَّمِيمَةِ :

اشْتَرَكَ تَاجِرَانِ أَحَدُهُمَا بِالْقَاهِرَةِ وَالْآخَرُ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَبَارَكَ اللهُ فِى تِجَارَتِهِمَا بِسَبَبِ إِخْلَاصِ كُلٍّ مِنْهُمَا وَصِدْقِهِ وَمَحَبَّتِهِ لِزَمِيلِهِ حَتَّى أَفَادَا مِنْهَا رِبْحًا مَوْفُورًا ، فَحَقَدَ عَلَيْهِمَا رَجُلٌ خَبِيثٌ ، وَسَعَى فِى الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمَا ، فَتَقَدَّمَ لِأَحَدِهِمَا وَأَفْضَى إِلَيْهِ أَنَّ زَمِيلَهُ الْآخَرَ يَسْتَأْثِرُ لِنَفْسِهِ بِبَعْضِ الْأَرْبَاحِ الَّتِى يَجْنِيهَا دُونَ عِلْمِهِ، وَأَنَّهُ يَنْوِى أَنْ يَغْدِرَ بِهِ وَيَسْتَقِلَّ وَحْدَهُ بِالتِّجَارَةِ . وَمَا زَالَ يُزَيِّنُ لَهُ مَا يَقُولُهُ حَتَّى أَقْنَعَهُ بِصِحَّتِهِ. ثُمَّ اتَّصَلَ بِالْآخَرِ وَأَفْهَمَهُ مِثْلَ ذَٰلِكَ عَنْ شَرِيكِهِ ، فَأَوْجَسَ كُلٌّ مِنْهُمَا خِيفَةً مِنْ صَاحِبِهِ ، وَعَمِلَ عَلَى الْكَيْدِ لَهُ ، فَفَسَدَتْ قُلُوبُهُمَا وَغَاضَ إِخْلَاصُهُمَا ، وَمَا لَبِثَا أَنْ بَارَتْ تِجَارَتُهُمَا وَخَسِرَا رَأْسَ مَالِهِمَا .

فَالنَّمِيمَةُ أَنْ تَنْقُلَ الْكَلَامَ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَآلِفَيْنِ قَصْدَ إِفْسَادِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَهُمَا .

وَقَدْ حَرَّمَتْهَا الشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ وَالْآدَابُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ ، لِأَنَّهَا تَبْعَثُ الْفِتَنَ وَتَزْرَعُ الْبَغْضَاءَ ، وَتَقْطَعُ الصِّلَاتِ ، وَتُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ ، وَتَجْعَلُ الصَّدِيقَيْنِ عَدُوَّيْنِ ، وَالْأَخَوَيْنِ أَجْنَبِيَّيْنِ وَالزَّوْجَيْنِ مُتَنَافِرَيْنِ ، وَالْوَلَدَ حَرْباً عَلَى أَبِيهِ ، وَالْأَبَ ضِدًّا لِبَنِيهِ . وَلَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : "وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ" وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ" .

بَعْدَ أَنْ أَوْضَحْنَا لَكَ يَابُنَيَّ مَا فِي سُوءِ الظَّنِّ بِالنَّاسِ وَالتَّجَسُّسِ عَلَيْهِمْ ، وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ مِنَ الْأَضْرَارِ الْكَبِيرَةِ وَالْعَوَاقِبِ السَّيِّئَةِ لَا نَخَالُكَ إِلَّا مُبْتَعِدًا عَنْهَا ، مُتَجَنِّباً مَنِ اتَّصَفَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا لِتَكُونَ مِنْ ذَوِي الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ وَالْخِصَالِ الْكَامِلَةِ .

٨ ـ الاتِّحَادُ والتَّعاوُنُ

(١) الاتِّحَادُ :

أَرَادَ أَحَدُ قُوَّادِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعَلِّمَ أَوْلاَدَهُ مَزَايَا الاتِّحَادِ ، فَجَمَعَهُمْ قُبَيْلَ وَفَاتِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا رِمَاحَهُمْ وَيَجْعَلُوهَا حُزْمَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ طَلَبَ إِلَيْهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ الآخَرِ أَنْ يَكْسِرُوهَا ، فَحَاوَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ ذٰلِكَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ، ثُمَّ أَشَارَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحُلُّوهَا وَيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ رُمْحَهُ وَيَكْسِرَهُ ، فَفَعَلُوا ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ : إِنَّ مَثَلَكُمْ كَمَثَلِ هٰذِهِ الرِّمَاحِ إِنِ اجْتَمَعْتُمْ وَاتَّحَدَتْ كَلِمَتُكُمْ لَنْ يَقْدِرَ عَدُوُّكُمْ أَنْ يَنَالَ مِنْ أَضْعَفِكُمْ شَيْئًا ، وَإِنْ تَفَرَّقْتُمْ وَاخْتَلَفْتُمْ تَغَلَّبَ عَلَيْكُمْ .

(٢) هٰذِهِ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ تَصِلُ إِلَى الإِنْسَانِ وَالنَّبَاتِ مُتَفَرِّقَةً فَلاَ تَضُرُّ، وَإِذَا تَجَمَّعَتْ بِوَاسِطَةِ قِطْعَةٍ مِنَ الْبَلُّورِ أَحْرَقَتْ مَا تَقَعُ عَلَيْهِ .

(٣) وَهٰـذِهِ قَطَرَاتُ الْمَطَرِ تَنْزِلُ مُتَفَرِّقَةً فَلَا تَـكَادُ تُؤَثِّرُ شَيْئًا فِي وَجْهِ الْأَرْضِ . فَإِذَا تَجَمَّعَتْ بِكَثْرَةٍ صَارَتْ سَـيْلًا يَشُقُّ الْأَرْضَ وَيَجْرُفُ كُلَّ مَا يَقِفُ فِي سَبِيلِهِ .

(٤) وَهٰـؤُلَاءِ الْعَرَبُ عَاشُـوا زَمَنًا طَوِيلًا مُتَفَـرِّقِينَ ، فَـلَمْ تَـكُنْ لَهُمْ دَوْلَةٌ وَلَا قُوَّةٌ ، فَلَمَّـا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَحَّدَ كَلِمَتَهُمْ وَجَمَعَ شَمْلَهُـمْ ، فَفَتَحُوا الْمَمَالِكَ وَالْأَقْطَارَ ، وَصَارُوا أُولِي قُـوَّةٍ أَرْهَبَتْ أَعْدَاءَهُمْ ، حَتَّى خَشُـوا بَأْسَهُـمْ ، وَكُلُّ ذٰلِكَ مِنْ ثَمَرَاتِ الِاتِّحَادِ .

وَالتَّارِيخُ نَاطِقٌ بِأَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ اتَّحَدَتْ كَلِمَةُ أَبْنَائِهَا عَلَا شَأْنُهَا ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهَا ، وَهَابَهَا أَعْدَاؤُهَـا ، وَنَمَتْ تِجَارَتُهَا وَازْدَادَتْ ثَرْوَتُهَا ، وَاتَّسَعَ سُلْطَانُهَا .

(ب) التَّعاوُن :

(١) يُكَوِّنُ التَّلاميذُ فِي المَدَارِسِ جَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةً :
فَمِنْهَا لِلصُّلْحِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ ، وَمِنْهَا لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى النِّظَامِ ، وَمِنْهَا لِنَشْرِ الْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَكُلُّ ذٰلِكَ لِلتَّعَاوُنِ عَلَى تَرْقِيَةِ حَيَاتِهِمُ الْمَدْرَسِيَّةِ .

(٢) يُؤَلِّفُ الفَلَّاحُونَ نِقَابَاتٍ زِرَاعِيَّةً يَشْتَرِكُونَ فِي تَكْوِينِ رَأْسِ مَالِهَا ، فَتَحْصُلُ لَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ السَّمَادِ وَأَجْوَدِ الْبُذُورِ بِأَقَلِّ ثَمَنٍ ، وَتُقْرِضُ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى نُقُودٍ ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هٰذِهِ النِّقَابَاتُ لَكَانُوا فَرِيسَةَ الْمُرْبِينَ وَذَوِي الْأَطْمَاعِ مِنَ التُّجَّارِ وَالْمُحْتَالِينَ .

(٣) يَعِيشُ النَّمْلُ جَمَاعَاتٍ تَتَعَاوَنُ عَلَى جَمْعِ قُوتِهَا وَادِّخَارِهِ فِي أَمَاكِنَ حَرِيزَةٍ لِوَقْتِ الْحَاجَةِ .

(٤) وَهٰذِهِ النَّحْلُ تَنْتَشِرُ فِي الْحُقُولِ بَيْنَ الْأَزْهَارِ ثُمَّ تَعُودُ وَتَبْنِي أَقْرَاصَ الْعَسَلِ مِمَّا جَمَعَتْ .

(٥) وَهٰذِهِ شَرِكَاتُ مِصْرَ : تَعَاوَنَ رِجَالُهَا فَأَنْشَأَتْ مَصَانِعَ الْغَزْلِ وَالنَّسْجِ ، وَمَعَامِلَ الْحَلْجِ ، وَسُفُنَ الْمِلَاحَةِ وَالطَّائِرَاتِ ، فَفَتَحَتْ أَبْوَابَ الْعَمَلِ لِأَيْدٍ كَثِيرَةٍ كَانَتْ مُتَعَطِّلَةً ، وَأَحْيَتْ صِنَاعَاتٍ كَانَتْ فِي مِصْرَ مُنْدَثِرَةً ، وَحَفِظَتْ لِلْبِلَادِ ثَرْوَةً كَانَتْ إِلَى الْبِلَادِ الْأَجْنَبِيَّةِ ذَاهِبَةً ، وَأَفَادَتْ أَصْحَابَهَا الْأَرْبَاحَ الْوَافِرَةَ .

كُلُّ هٰذَا مِنْ آثَارِ التَّعَاوُنِ الَّذِي يُحَقِّقُ مِنَ الْأَغْرَاضِ مَالَا يَسْتَطِيعُ الْفَرْدُ أَنْ يَقُومَ بِهِ وَحْدَهُ .

وَمِنْ أَهَمِّ ثَمَرَاتِ التَّعَاوُنِ :

(١) إِتْقَانُ الْأَعْمَالِ وَأَدَاؤُهَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ .

(٢) سُهُولَةُ حُصُولِ كُلِّ فَرْدٍ عَلَى مَطَالِبِهِ .

(٣) قِيَامُ الْأُلْفَةِ بَيْنَ الْأَفْرَادِ وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ الْأَزَمَاتِ .

(٤) إِنْشَاءُ الشَّرِكَاتِ وَالْمَصَارِفِ وَتَقَدُّمُ الِاخْتِرَاعِ .

٩ ــ العــدل

إِذَا تَنَازَعَ شَخْصَانِ فِى قِطْعَـةِ أَرْضٍ أَوْ مَنْزِلٍ أَوْ دَيْنٍ فَإِنَّهُمَا يَرْفَعَانِ أَمْرَهُمَا إِلَى الْقَضَاءِ ، وَهُنَاكَ يَسْمَعُ الْقَاضِى مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا دَعْوَاهُ وَأَدِلَّتَهُ وَشُهُودَهُ ، ثُمَّ يَحْكُمُ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مِنْهُمَا ، لَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ ، وَخَفِيرٍ وَأَمِيرٍ ، وَحُكْمُهُ هٰــذَا هُوَ " الْعَدْلُ " .

(١) كَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَاضِياً ، فَاخْتَصَمَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (وَهُوَ أَمِـيرُ الْمُؤْمِنِينَ) وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ . وَلَمَّـا دَخَلَا عَلَى الْقَاضِى ، تَخَلَّى لِعُمَرَ عَنْ أَحْسَنِ مَكَانٍ فِى الْحُجْرَةِ ، فَغَضِبَ عُمَرُ وَقَالَ لَهُ : هٰذَا أَوَّلُ جَوْرٍ (ظُلْمٍ) فِى حُكْمِكَ ، وَالْوَاجِبُ أَنْ أَجْلِسَ بِجَانِبِ خَصْمِى ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ . وَلَمَّـا انْتَهَى مِنَ الْحُكْمِ قَالَ لَهُ عُمَرُ : لَا يَكُونُ الْقَـاضِى عَادِلًا إِلَّا إِذَا تَسَاوَى عِنْـدَهُ الرَّئِيسُ وَالْمَـرْءُوسُ .

(٢) كَانَ لِعَجُوزٍ فَقِيرَةٍ بَيْتٌ بِجِوَارِ قَصْرٍ لِكِسْرَى أَنُو شِرْوَانَ مَلِكِ الْفُرْسِ ، وَكَانَ لَابُدَّ لِتَمَامِ نِظَامِ الْقَصْرِ مِنْ إِدْخَالِ أَرْضِ هٰذَا الْبَيْتِ فِيهِ ، فَطَلَبَ إِلَيْهَا بَيْعَهُ فَأَبَتْ ، فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُكْرِهَهَا عَلَى الْبَيْعِ وَأَمَرَ بِبِنَاءِ الْقَصْرِ وَفِيهِ بَعْضُ ٱعْوِجَاجٍ مِنْ نَاحِيَةِ هٰذَا الْبَيْتِ ، وَقَالَ : إِنَّ الْعَدْلَ فِي الرَّعِيَّةِ أَفْضَلُ مِنِ اسْتِقَامَةِ قَصْرِي .

(٣) كَانَ فِي إِحْدَى الْوِزَارَاتِ طَائِفَةٌ مِنَ الدَّرَجَاتِ ، فَأَرَادَ الْوَزِيرُ أَنْ يَمْنَحَهَا مَنْ يَسْتَحِقُّهَا مِنَ "الْمُوَظَّفِينَ" فَفَحَصَ عَنْ أَحْوَالِهِمْ بِنَفْسِهِ حَتَّى عَرَفَ الأَكْفَاءَ الْمُخْلِصِينَ مِنْهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ ، الْمُحَافِظِينَ عَلَى إِنْجَازِهَا ، مِنْ ذَوِي السُّلُوكِ الْحَسَنِ وَالسِّيرَةِ الْقَوِيمَةِ ، ثُمَّ مَنَحَهُمْ تِلْكَ الدَّرَجَاتِ عَلَى حَسَبِ اسْتِحْقَاقِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ أَثَرِ ذٰلِكَ أَنِ ٱطْمَأَنَّتْ نُفُوسُ "الْمُوَظَّفِينَ" ، وَزَادَ نَشَاطُهُمْ ، وَتَسَابَقُوا فِي تَأْدِيَةِ الْوَاجِبَاتِ ،

وَحَرَص كُلٌّ مِنهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ مُجِدًّا حَسَنَ السُّمْعَةِ ، طَيِّبَ السِّيرَةِ .

فَلِلعَدْلِ آثَارٌ حَمِيدَةٌ مِنها :

(١) حَثُّ الهِمَمِ عَلَى الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ .

(٢) نَشْرُ الثِّقَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ بَيْنَ النَّاسِ .

(٣) تَأْمِينُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَيَتَفَرَّغُ لِشُؤُونِهِ ، وَيَعِيشُ هَادِئَ النَّفسِ قَرِيرَ الْعَيْنِ ، وَتَقِلُّ الشُّرُورُ بِمُعَاقَبَةِ الجَانِينَ .

السِّيَرُ

١ — قِصَّةُ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ

رضي الله عنها

هِيَ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ . كَانَ أَبُوهَا عَظِيماً مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَمَكَثَ زَمَنًا طَوِيلاً لَا يُولَدُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ، فَلَمَّا حَمَلَتْ زَوْجَتُهُ نَذَرَتْ أَنْ تَجْعَلَ مَا فِي بَطْنِهَا خَادِماً لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا أُنْثَى سَمَّتْهَا مَرْيَمَ (وَمَعْنَاهَا الْخَادِمُ) ، وَسَلَّمَتْهَا إِلَى خَدَمِ الْبَيْتِ ، فَكَفَلَهَا زَوْجُ خَالَتِهَا زَكَرِيَّا ، وَقَامَ عَلَى تَرْبِيَتِهَا ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا حُجْرَتَهَا وَجَدَ عِنْدَهَا طَعَامًا وَفَاكِهَةً فِي غَيْرِ أَوَانِهَا ، فَإِذَا سَأَلَهَا مِنْ أَيْنَ هٰذَا ؟ قَالَتْ : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . فَلَمَّا كَبِرَتْ أَحَبَّتْ الِابْتِعَادَ عَنِ النَّاسِ ، وَاتَّخَذَتْ لَهَا مَكَانًا مُنْعَزِلاً تَعْبُدُ اللهَ فِيهِ ، فَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَأْتِيهَا وَتُخْبِرُهَا أَنَّ اللهَ

تَعَالَى قَدْ أَحَبَّهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَدْنَاس ، وَتَحُثُّهَا عَلَى الاجْتِهَادِ فِى العِبَادَةِ وَطَاعَةِ اللهِ . وَذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْهَا جِبْرِيلُ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ وَهِىَ فِى خَلْوَتِهَا فَفَزِعَتْ ظَنًّا مِنْهَا أَنَّهُ يُرِيدُ بِهَا سُوءًا ، فَسَكَّنَ رَوْعَهَا وَقَالَ لَهَا : إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكِ ، أُبَلِّغُكِ أَنَّ اللهَ وَهَبَ لَكِ وَلَدًا طَاهِرًا شَرِيفًا ، فَعَجِبَتْ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَتْ : كَيْفَ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَأَنَا لَمْ أَتَزَوَّجْ ؟ فَقَالَ لَهَا : إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يُعْجِزُهُ شَىْءٌ ، وَإِنَّ ابْنَكِ سَيَكُونُ عَظِيمَ الشَّأْنِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَيُسَمَّى "المَسِيحَ عِيسَى" ، وَأَنَّهُ مِنَ المُقَرَّبِينَ إِلَى اللهِ ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ وَهُوَ طِفْلٌ كَلَامًا فَصِيحًا كَمَا لَوْ كَانَ كَبِيرًا ، فَحَمَلَتْهُ . وَلَمَّا قَارَبَتِ الوَضْعَ لَجَأَتْ إِلَى نَخْلَةٍ فَوَلَدَتْ عِيسَى بِجَانِبِهَا ، وَلَكِنَّهَا خَافَتْ أَنْ يُؤْذِيَهَا قَوْمُهَا وَيَرْمُوهَا بِالسُّوءِ لِوِلَادَتِهَا وَلَدًا مِنْ غَيْرِ أَبٍ ، فَقَالَ لَهَا عِيسَى : لَا تَحْزَنِى وَلَا تَخَافِى فَإِنَّ اللهَ سَيَحْفَظُكِ مِنْ

كُلِّ ضُرٍّ وَأَذًى . فَلَمَّا جَاءَ قَوْمُهَا وَوَجَدُوهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ لَامُوهَا ، فَأَشَارَتْ إِلَى عِيسَى وَهُوَ فِى فِرَاشِهِ ، فَأَجَابَهُمْ : إِنِّى عَبْدُ اللهِ تَعَالَى أَكْرَمَنِى بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِهِ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا وَرَحْمَةً لِلنَّاسِ ، وَأَوْصَانِى بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْبِرِّ بِوَالِدَتِى ، وَالتَّمَسُّكِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ .

٢ — قِصَّةُ سَيِّدِنَا شُعَيْبٍ

كَانَ سَيِّدُنَا شُعَيْبٌ رَسُولًا إِلَى قَبِيلَةِ مَدْيَنَ (الَّتِى كَانَتْ مَسَاكِنُهَا بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ) . وَقَدْ وَسَّعَ اللهُ لَهُمْ فِى الرِّزْقِ وَالْغِنَى ، فَلَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ بَلْ كَفَرُوا بِهِ وَأَسَاءُوا فِى مُعَامَلَةِ النَّاسِ : فَنَقَصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ طَمَعًا فِى أَمْوَالِ النَّاسِ ، وَرَغْبَةً فِى الْحُصُولِ عَلَيْهَا بِالْغِشِّ ، فَكَانَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وَيَنْصَحُ لَهُمْ بِإِيفَاءِ

الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَالْبُعْدِ عَنْ ظُلْمِ النَّاسِ وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ ، فَلَمْ يَسْتَمِعُوا لِنُصْحِهِ ، وَصَارُوا يُؤْذُونَهُ وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَنْ يَتَّبِعُهُ ، فَلَمَّا كَثُرَ فَسَادُهُمْ ، وَقَلَّ صَلَاحُهُمْ ، حَذَّرَهُمْ عَاقِبَةَ أَعْمَالِهِمْ ، وَأَنْ يُصِيبَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالدَّمَارِ مِثْلُ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا ، وَقَدْ شَاهَدُوا آثَارَ غَضَبِ اللّٰهِ عَلَيْهَا ، وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ يَرْتَدِعُوا . فَدَعَا اللّٰهَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فَسَلَّطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمُ الْحَرَّ الشَّدِيدَ ، فَدَخَلُوا فِي أَجْوَافِ الْبُيُوتِ ، فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ظِلٌّ وَلَا مَاءٌ ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ فَبَعَثَ اللّٰهُ إِلَيْهِمْ سَحَابَةً فَلَجَئُوا إِلَيْهَا يَسْتَظِلُّونَ بِهَا مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ نَارًا فَاحْتَرَقُوا ، وَنَجَّى اللّٰهُ شُعَيْبًا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

٣ — سَيِّدُنَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ

أَمْثِلَةٌ مِنْ أَخْلَاقِهِ :

أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ مَجَاعَةٌ ، وَكَانَ عُثْمَانُ ذَا تِجَارَةٍ وَاسِعَةٍ ، فَجَاءَتْهُ قَافِلَةٌ بِهَا أَلْفُ بَعِيرٍ تَحْمِلُ أَصْنَافَ الطَّعَامِ ، فَأَتَاهُ تُجَّارُ الْمَدِينَةِ لِيَشْتَرُوا مِنْهُ مَا حَمَلَتْهُ الْقَافِلَةُ ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَرْبَاحاً مُغْرِيَةً بَلَغَتْ خَمْسَةَ أَضْعَافِ ثَمَنِهَا ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ اللّٰهَ قَدْ أَعْطَانِي فِيهَا بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشَرَةً فَهَلْ عِنْدَكُمْ زِيَادَةٌ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِهَا عَلَى فُقَرَاءِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَصَدَّقَ بِهَا جَمِيعِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ .

يُسْتَفَادُ مِنْ ذٰلِكَ :

(ا) تَعَفُّفُ عُثْمَانَ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْـهُ عَنْ أَنْ يَسْـلُكَ مَسْلَكَ التُّجَّارِ فِى احْتِكَارِ الْأَصْنَافِ وَاغْتِنَامِ شِدَّةِ الْحَاجَة طَلَباً لِزِيَادَة الثَّرْوَةِ .

(ب) سَخَاؤُهُ بِهٰذَا الْمَالِ الْعَظِيمِ لِإِنْقَاذِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَجَاعَة وَحِمَايَتِهِمْ مِنْ شَرَهِ التُّجَّارِ وَعَسْفِهِمْ .

(ج) عِظَمُ يَقِينِهِ بِأَنَّ مَا يُنْفِقُهُ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ أَنْفَعُ وَأَبْقَى .

(٢) لَمَّا أَرَادَ النَّبِىُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ مُحَارَبَةَ الرُّومِ فِى غَزْوَةِ تَبُوكَ (بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ) كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِى عُسْرٍ وَضِيقٍ شَدِيدَيْنِ ، وَقَدْ أَجْهَدَهُمُ الْحَرُّ (وَلِذٰلِكَ سُمِّىَ جَيْشُهَا جَيْشَ الْعُسْرَةِ) فَظَهَرَ كَرَمُ عُثْمَانَ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْـهُ ، وَبَذَلَ فِى

تَجْهِيزِ هٰذَا الْجَيْشِ مَا لَمْ يَبْذُلْهُ أَحَدٌ، فَتَبَرَّعَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَلْفِ بَعِيرٍ وَخَمْسِينَ فَرَسًا .

(٣) وَكَانَ لِيَهُودِيٍّ بِالْمَدِينَةِ بِئْرٌ يَبِيعُ مَاءَهَا لِلْمُسْلِمِينَ وَيَتَحَكَّمُ فِيهِمْ ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ عُثْمَانُ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَتَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

وَكَانَ رَحِيماً بِأَهْلِهِ وَخَدَمِهِ ، لَا يُكَلِّفُهُمْ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ ، وَإِذَا قَامَ بِاللَّيْلِ لِلصَّلَاةِ لَا يُوقِظُ أَحَدًا مِنْهُمْ ، بَلْ يُعِدُّ وَضُوءَهُ بِنَفْسِهِ .

وَقَدْ وُلِدَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ مِيلَادِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَكَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ فِي الْإِسْلَامِ .

٤ – سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ

شَوَاهِدُ مِنْ أَخْلَاقِهِ :

(١) طَرَقَ بَابَهُ مِسْكِينٌ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَسَأَلَهُ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ يَدْفَعُ بِهِ أَلَمَ الْجُوعِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَقْرَاصٌ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ هِيَ قُوتُهُ وَقُوتُ أَوْلَادِهِ ذٰلِكَ الْيَوْمَ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا وَبَاتُوا جَائِعِينَ .

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي جَاءَهُ يَتِيمٌ ، وَسَأَلَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ فَأَعْطَاهُ طَعَامَهُمْ أَيْضًا .

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ جَاءَهُ أَسِيرٌ وَقَالَ لَهُ مِثْلَ سَابِقَيْهِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الطَّعَامَ ، وَظَلَّ هُوَ وَأَوْلَادُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَتَنَاوَلُونَ سِوَى الْمَاءِ . وَفِي الثَّنَاءِ عَلَى هٰذَا الْجُودِ النَّادِرِ نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى :

" وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * " الآيات .

يَتَجَلَّى مِنْ ذٰلِكَ :

أَنَّ مِنْ شِيَمِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إِيثَارَهُ الْمُعْوِزِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَوْلَادِهِ وَهُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَا يَتَصَدَّقُونَ بِهِ .

(٢) لَمَّا عَزَمَ الْكُفَّارُ عَلَى قَتْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَذِنَ اللهُ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، أَمَرَ النَّبِيُّ عَلِيًّا أَنْ يَبِيتَ فِي مَكَانِهِ تَضْلِيلًا لِلْكُفَّارِ ، فَامْتَثَلَ عَلِيٌّ أَمْرَهُ وَنَامَ فِي فِرَاشِهِ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا خَائِفٍ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَرَفُوهُ وَأَدْرَكُوا أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ فَاتَهُمْ وَأَنَّ مَكِيدَتَهُمْ أَخْفَقَتْ .

يُرْشِدُنَا ذٰلِكَ إِلَى مَا يَأْتِي :

(١) شَجَاعَتُهُ وَقُوَّةُ يَقِينِهِ .

(٢) تَفْدِيَتُهُ الرَّسُولَ وَتَعَرُّضُهُ لِلْهَلَاكِ فِي سَبِيلِ إِنْقَاذِهِ .

(٣) كَانَ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ (خِزَانَةِ الْمَالِيَّةِ) عِقْدٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ ، فَأَرْسَلَتِ ابْنَةُ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ إِلَى الخَازِنِ تَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُعِيرَهَا هٰذَا الْعِقْدَ لِتَتَجَمَّلَ بِهِ يَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى عَلَى أَنْ تَرُدَّهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَرَآهُ عَلَيْهَا أَبُوهَا فَعَرَفَهُ ، فَسَأَلَهَا فَقَالَتْ : اسْتَعَرْتُهُ مِنْ خَازِنِ بَيْتِ الْمَالِ لِأَتَزَيَّنَ بِهِ فِي الْعِيدِ ثُمَّ أَرُدَّهُ . فَبَعَثَ إِلَى الخَازِنِ وَوَبَّخَهُ عَلَى تَصَرُّفِهِ فِي مَالِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَهُ بِرَدِّ الْعِقْدِ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ يَوْمِهِ ؛ فَقَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا ابْنَتُكَ وَبِضْعَةٌ مِنْكَ ، فَمَنْ أَحَقُّ بِلُبْسِهِ مِنِّي ؟ فَقَالَ لَهَا : أَكُلُّ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَتَزَيَّنَّ فِي الْعِيدِ بِمِثْلِ هٰذَا ؟ يُرِيدُ أَنَّهَا لَا حَقَّ لَهَا فِي ذٰلِكَ. ثُمَّ قَالَ : وَيْلٌ لِابْنَتِي لَوْ لَمْ تَأْخُذْ هٰذَا الْعِقْدَ عَلَى أَنَّهُ عَارِيَةٌ مَرْدُودَةٌ لَكَانَتْ أَوَّلَ هَاشِمِيَّةٍ قُطِعَتْ يَدُهَا فِي سَرِقَةٍ .

مِنْ ذٰلِكَ يَتَبَيَّنُ حُبُّ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ لِلْعَدْلِ وَالْحَقِّ، وَأَنْ تَكُونَ أُسْرَتُهُ قُدْوَةً صَالِحَةً لِأُسَرِ الْمُسْلِمِينَ .

(٤) لَمَّا انْتَهَتِ الْحَرْبُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ بِانْتِصَارِهِ فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ دَخَلَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: كَيْفَ أَنْتِ يَا أُمَّهْ؟ قَالَتْ بِخَيْرٍ. قَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكِ، قَالَتْ: وَلَكَ، ثُمَّ جَهَّزَهَا بِكُلِّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَمَتَاعٍ وَأَرْسَلَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ مُعَزَّزَةً مُكَرَّمَةً، وَبَعَثَ مَعَهَا مِنَ الْخَدَمِ وَالْأَتْبَاعِ مَنْ يَقُومُ بِخِدْمَتِهَا. ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْنِ الْقَتْلَى وَمُوَاسَاةِ الْجَرْحَى.

فَانْظُرْ حُسْنَ مُعَامَلَتِهِ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ الطَّاهِرَاتِ، وَشَهَامَتَهُ وَنُبْلَ مُرُوءَتِهِ.

هٰذَا وَسَيِّدُنَا عَلِيٌّ هُوَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وُلِدَ بِمَكَّةَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ مِيلَادِ النَّبِيِّ وَشَبَّ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ، مُتَحَلِّيًا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، مُقْتَدِيًا بِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، طَاهِرَ الْعَقِيدَةِ، لَمْ يَعْبُدْ وَثَنًا قَطُّ.

وَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ ٱللهِ كَانَ عَلِيٌّ أَوَّلَ صَبِيٍّ أَسْلَمَ ، وَسِنُّهُ ثَمَانُ سِنِينَ ، وَلَمَّا بَلَغَ مَرْتَبَةَ الرِّجَالِ كَانَ بَحْرًا فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، سَخِيًّا جَوَادًا ، يَتَصَدَّقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ مَعَ ضِيقِ حَالِهِ ، شَدِيدًا عَلَى الْكُفَّارِ ، رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ .

تَزَوَّجَ بِالسَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرُزِقَ مِنْهَا بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَزَيْنَبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

وَكَانَ يُوَاسِي الضُّعَفَاءَ وَيُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ وَيُسَاعِدُهُمْ . وَكَانَ يَشْتَرِي طَعَامَهُ بِنَفْسِهِ وَيَحْمِلُهُ . فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُ أَتْبَاعِهِ حَمْلَهُ عَنْهُ قَالَ : " أَبُو الْعِيَالِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ " .

وَكَانَ خَطِيبًا مُفَوَّهًا يَسْتَوْلِي بِفَصَاحَتِهِ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُونَ الْوَحْيَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ مَا آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ " أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " .

٥ ـ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ

صُورَةٌ مِنْ خَلَائِقِهِ :

(١) لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتْحَ مَكَّةَ جَهَّزَ جَيْشًا عَظِيمًا ، وَجَعَلَ مِنْ قُوَّادِهِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ مِنْ جَنُوبِيِّهَا ، فَأَحْسَنَ قِيَادَةَ الْجَيْشِ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ التَّغَلُّبِ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ ، وَدَخَلَ مَكَّةَ فَائِزًا مَنْصُورًا .

(٢) لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ٱرْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانَ فِي إِيمَانِهِمْ ضَعْفٌ ، فَأَعَدَّ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الْجُيُوشَ لِقِتَالِهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى قِيَادَتَهَا . وَمَا زَالَ يُحَارِبُ الْمُرْتَدِّينَ وَيَهْزِمُهُمْ فَرِيقًا بَعْدَ الْآخَرِ . حَتَّى قَتَلَ كَثِيرًا مِنْهُمْ وَأَعَادَ بَاقِيَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ .

(٣) لَمَّا أَبْطَأَ الْمُسْلِمُونَ فِى فَتْحِ بِلَادِ الشَّامِ فِى عَهْدِ أَبِى بَكْرٍ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لِيَتَوَلَّى قِيَادَةَ الْجَيْشِ ، فَوَجَدَ الْقِيَادَةَ مُوَزَّعَةً ، تُحَارِبُ كُلُّ جَمَاعَةٍ بِقِيَادَةِ رَئِيسٍ مِنْهَا ، فَجَمَعَ الْجَيْشَ كُلَّهُ تَحْتَ رِيَاسَةِ قَائِدٍ وَاحِدٍ يَكُونُ اخْتِيَارُهُ بِالتَّنَاوُبِ ، وَطَلَبَ أَنْ تَكُونَ النَّوْبَةُ الْأُولَى لَهُ ، فَنَظَّمَ الْجَيْشَ وَهَجَمَ بِهِ عَلَى الرُّومِ هَجْمَةً عَنِيفَةً اخْتَلَّتْ بِهَا صُفُوفُهُمْ ، وَوَقَعَ الرُّعْبُ فِى قُلُوبِهِمْ ، وَلَمْ يُطِيقُوا صَبْرًا عَلَى احْتِمَالِ الْعَرَبِ فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ الشَّامَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا .

(٤) لَمَّا تُوُفِّىَ أَبُو بَكْرٍ وَتَوَلَّى بَعْدَهُ عُمَرُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ، عَزَلَ خَالِدًا مِنْ قِيَادَةِ الْجَيْشِ وَهُوَ مُنْتَصِرٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالشَّامِ ، وَوَلَّى مَكَانَهُ أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَحَارَبَ خَالِدٌ تَحْتَ رِيَاسَتِهِ بِإِخْلَاصٍ وَطَاعَةٍ ، ثُمَّ اسْتَقْدَمَ عُمَرُ خَالِدًا وَقَالَ لَهُ :

مَا عَزَلْتُكَ لِرِيبَةٍ (شَكٍّ) فِيكَ، وَلٰكِنِ ٱفْتَتَنَ ٱلنَّاسُ بِكَ نَخِفْتُ أَنْ تَفْتَتِنَ بِالنَّاسِ .

يُسْتَخْلَصُ مِنْ ذٰلِكَ :

أَنَّ خَالِدًا كَانَ قَائِدًا شُجَاعًا ، بَصِيرًا بِفُنُونِ الحَرْبِ، يَعْرِفُ كَيْفَ يَقُودُ جُيُوشَهُ إِلَى النَّصْرِ ، وَأَنَّهُ لِذٰلِكَ كَانَ مَوْضِعَ ثِقَةِ النَّبِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا مُطِيعًا سَوَاءٌ كَانَ قَائِدًا أَوْ جُنْدِيًّا .

وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْقُوَّادِ فِي الْعَالَمِ الَّذِينَ عَرَفَهُمُ ٱلتَّارِيخُ ، وَلِذٰلِكَ مَنَحَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَبَ سَيْفِ اللهِ الْمَسْلُولِ .

أَسْلَمَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ وَتُوُفِّيَ سنة ٢١ هجرية .

٦ — عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

آيَاتٌ مِنْ أَخْلَاقِهِ :

(١) اسْتَأْذَنَ بَرِيدُ إِحْدَى الْوِلَايَاتِ عَلَيْهِ لَيْلًا وَهُوَ خَائِفَةٌ فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَعَا عُمَرُ بِمِصْبَاحٍ كَبِيرٍ ، وَأَخَذَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْبِلَادِ وَمَنْ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ ، وَعَنْ سِيرَةِ الْوَالِي وَالْأَسْعَارِ وَعَنِ الْعَدْلِ ، فَأَنْبَأَهُ بِجَمِيعِ مَا يَعْلَمُ . وَلَمَّا فَرَغَ عُمَرُ مِنْ مَسْأَلَتِهِ ، أَخَذَ الْبَرِيدُ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِ عِيَالِهِ ، فَأَطْفَأَ عُمَرُ الْمِصْبَاحَ وَدَعَا بِسِرَاجٍ لَا يَكَادُ يُضِيءُ ، فَقَالَ الْبَرِيدُ : لِمَ هَـٰذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : إِنَّ الْمِصْبَاحَ الْكَبِيرَ مِنْ مَالِ اللهِ وَمَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ حَاجَتِهِمْ فَكَانَ الْمِصْبَاحُ يُضِيءُ بَيْنَ يَدَيَّ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَهُوَ لَهُمْ . فَلَمَّا صِرْتُ لِشَأْنِي وَأَمْرِ عِيَالِي أَطْفَأْتُ نُورَهُ .

يُسْتَفَادُ مِنْ ذٰلِكَ :

(ا) تَشَدُّدُهُ فِي الحِرْصِ عَلَى مَالِ المُسْلِمِينَ وَأَلَّا يُنْفِقَ شَيْئًا مِنْهُ إِلَّا فِي مَصَالِحِهِمْ .

(ب) حَمْلُهُ الوُلَاةَ وَالعُمَّالَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا أُسْوَةً حَسَنَةً فِي الأَمَانَةِ وَالمُحَافَظَةِ عَلَى أَمْوَالِ المُسْلِمِينَ .

(١) خَرَجَ يَسْتَطْلِعُ أَخْبَارَ البِلَادِ ، فَلَقِيَ رَاكِبًا مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : إِنِّي تَرَكْتُ المَدِينَةَ وَالظَّالِمُ بِهَا مَقْهُورٌ ، وَالمَظْلُومُ بِهَا مَنْصُورٌ ، وَالغَنِيُّ مَوْفُورٌ ، وَالعَائِلُ مَجْبُورٌ ، فَسُرَّ بِذٰلِكَ عُمَرُ وَقَالَ : وَاللهِ لَأَنْ تَكُونَ البُلْدَانُ كُلُّهَا عَلَى هٰذِهِ الصِّفَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ .

يَتَّضِحُ مِنْ ذٰلِكَ :

(ا) حِرْصُ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ عَلَى تَفَقُّدِ أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ بِنَفْسِهِ .

(ب) اغتِبَاطُهُ بِقِيَامِ الْعَدَالَةِ وَانتِشَارِ الطُّمَأْنِينَةِ وَالرَّخَاءِ فِي أَنْحَاءِ الدَّوْلَةِ .

(٣) لَمَّا وُلِّيَ الخِلَافَةَ بَاعَ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ مِنْ مَتَاعٍ وَمَرْكَبٍ وَثِيَابٍ ، وَقَدْ بَلَغَ ثَمَنُهُ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ جَعَلَهَا كُلَّهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَعَيَّنَ لَهُ دِرْهَمَيْنِ فَقَطْ كُلَّ يَوْمٍ يُنْفِقُهُمَا فِي مَعَاشِهِ.

يَدُلُّنَا ذٰلِكَ عَلَى مَا يَأْتِي :

(ا) رَغْبَتُهُ فِي التَّجَرُّدِ مِنَ الْغِنَى وَمَشَاغِلِهِ لِيَتَفَرَّغَ لِشُؤُونِ الدَّوْلَةِ .

(ب) أَنَّهُ جَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَثَلًا صَالِحًا لِلْأَغْنِيَاءِ مِنَ الْأُمَّةِ، وَسَلْوَى طَيِّبَةً لِلْفُقَرَاءِ .

(٤) خَرَجَ (وَهُوَ خَلِيفَةٌ) لِلصَّلَاةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَمَعَهُ حَرَسِيٌّ، وَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ مَرَّ فِي الظَّلَامِ بِرَجُلٍ نَائِمٍ فَعَثَرَ بِهِ ، فَرَفَعَ

الرَّجُلُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : أَمَجْنُونٌ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : لَا . فَاغْتَاظَ الْحَرَسِيُّ وَهَمَّ بِإِيذَائِهِ لِأَنَّهُ يَشْتُمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَنَعَهُ عُمَرُ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا غَيْرَ أَنْ سَأَلَنِي : أَمَجْنُونٌ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : لَا .

تَدُلُّنَا هَٰذِهِ الْحَادِثَةُ عَلَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ وَاسِعَ الْحِلْمِ كَثِيرَ الصَّفْحِ .

وَكَانَ يُوَسِّعُ عَلَى عُمَّالِهِ فِى مُرَتَّبَاتِهِمْ حُبًّا فِى ٱسْتِئْصَالِ الرِّشْوَةِ وَٱسْتِقَامَةِ الْعُمَّالِ ، لِأَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا فِى كِفَايَةٍ وَسَعَةٍ تَفَرَّغُوا لِمَصَالِحِ ٱلْأُمَّةِ .

وَكَانَ يَأْمُرُ الْحَرَسَ إِذَا خَرَجَ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَقُومُوا إِلَيْهِ . وَيَقُولُ لَهُمْ : لَا تَبْتَدِئُونِى بِالسَّلَامِ ، إِنَّمَا السَّلَامُ عَلَيْنَا لَكُمْ .

وَكَانَ يُنْجِزُ أَعْمَالَهُ فِى أَوْقَاتِهَا . قِيلَ لَهُ : لَوْ رَكِبْتَ فَرَوَّحْتَ عَنْ نَفْسِكَ ، قَالَ : فَمَنْ يَجْزِى عَنِّى عَمَلَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، فَقِيلَ

لَهُ تَجْزِيهِ مِنَ الْغَدِ ، قَالَ : قَدْ أَثْقَلَنِي عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَ عَلَيَّ عَمَلُ يَوْمَيْنِ .

وَلَمَّا كَانَ النَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ وَذَوِى الرَّأْيِ فِيهِمْ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قُدْوَةً صَالِحَةً فِى أَعْمَالِهِ وَأَحْكَامِهِ ، لَمْ يَمْضِ عَلَى خِلَافَتِهِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى تَخَلَّقَ النَّاسُ بِأَخْلَاقِهِ وَصَارُوا يُبَادِرُونَ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ فَوْرَ وُجُوبِهَا ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مُعْوِزٌ وَلَا بَائِسٌ .

٧ — الْمَأْمُونُ الْعَبَّاسِيُّ

نَمَاذِجُ مِنْ صِفَاتِهِ :

(١) جَلَسَ يَوْمًا لِيَفْصِلَ فِى الْخُصُومَاتِ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رَثَّةٌ . وَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكِ السَّلَامُ ، أَيْنَ خَصْمُكِ ؟ قَالَتْ : الْوَاقِفُ بِجَانِبِكَ

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَشَارَتْ إِلَى ابْنِهِ الْعَبَّاسِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقِفَ مَعَهَا مَوْقِفَ الْخُصُومِ ، ثُمَّ أَخَذَتْ تَتَكَلَّمُ فَكَانَ كَلَامُهَا يَعْلُو كَلَامَهُ ، فَقِيلَ لَهَا : اخْفِضِي مِنْ صَوْتِكِ فَإِنَّكِ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : دَعُوهَا فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَأَخْرَسَهُ ، ثُمَّ قَضَى بِرَدِّ ضَيْعَتِهَا إِلَيْهَا ، وَعَاقَبَ الْعَبَّاسَ عَلَى ظُلْمِهِ إِيَّاهَا .

مِنْ هَذَا نَعْلَمُ : أَنَّ الْمَأْمُونَ كَانَ عَادِلًا ، لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ ، وَلَا بَيْنَ عَظِيمٍ وَحَقِيرٍ ، وَلَا يُحَابِي قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ .

(٢) لَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِ عَمُّهُ إِبْرَاهِيمُ وَنَادَى بِنَفْسِهِ خَلِيفَةً ، حَلُمَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ عَسَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالدُّخُولِ مَعَ الْمُبَايِعِينَ ، وَلَمَّا لَمْ يُقْلِعْ عَنْ عِصْيَانِهِ ذَهَبَ إِلَيْهِ بِجَيْشٍ وَحَاصَرَهُ فِي الْبَلَدِ الَّذِي كَانَ بِهِ وَاقْتَحَمَهُ . فَهَرَبَ عَمُّهُ . وَلَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْهِ

الأَرْضُ تَنَكَّرَ ، وَقَدِمَ إِلَى الْمَأْمُونِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ ، وَاعْتَذَرَ مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ وَطَلَبَ الصَّفْحَ، فَعَفَا عَنْهُ وَرَدَّ إِلَيْهِ أَمْوَالَهُ وَضِيَاعَهُ .

تُفِيدُنَا هَٰذِهِ الْحَادِثَةُ :

(١) أَنَّهُ كَانَ مِنْ شِيَمِهِ الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ عَمَّنْ خَرَجَ عَلَى طَاعَتِهِ مَتَى تَبَيَّنَ لَهُ صِدْقُ تَوْبَتِهِ وَإِخْلَاصِهِ .

(ب) وَأَنَّهُ كَانَ بَارًّا بِذَوِي قَرَابَتِهِ .

(٣) قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : بِتُّ عِنْدَ الْمَأْمُونِ لَيْلَةً فَأَخَذَهُ سُعَالٌ ، فَكَانَ يَسُدُّ فَمَهُ بِمِنْدِيلِهِ حَتَّى لَا أَنْتَبِهَ مِنَ النَّوْمِ .

وَقَالَ الصُّولِيُّ : كُنَّا فِي السَّفَرِ مَعَ الْمَأْمُونِ فَكَانَ يَتَفَقَّدُنَا فِي اللَّيْلِ وَيُغَطِّينَا .

يَدُلُّنَا هَٰذَا عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُكْرِمُ الْعِلْمَ فِي شَخْصِ الْعُلَمَاءِ ، وَيَتَوَدَّدُ إِلَيْهِمْ ، وَيُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى نُفُوسِهِمْ .

وَقَدْ وُلِدَ الْمَأْمُونُ سَنَةَ ١٧٠ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَنَشَأَ فِى عِزِّ الْخِلَافَةِ وَجَلَالِهَا ، وَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْبَذْخِ وَالتَّرَفِ وَالنَّعِيمِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدٍ غَيْرِ أَخِيهِ الْأَمِينِ .

وَ كَانَ يُحِبُّ الْوُقُوفَ عَلَى أَحْوَالِ رَعَايَاهُ بِنَفْسِهِ : انْتَقَلَ إِلَى الشَّامِ فَعَرَفَ أَحْوَالَهَا ، وَأَتَى مِصْرَ وَرَأَى عَجَائِبَ مَبَانِيهَا وَآثَارِهَا ، وَيُقَالُ إِنَّهُ هُوَ الَّذِى أَمَرَ بِفَتْحِ الثُّغْرَةِ الَّتِي بِهَرَمِ الْجِيزَةِ الْأَكْبَرِ الْآنَ .

وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ : أَنَّ الْمَأْمُونَ كَانَ آخِرَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ الَّذِينَ أَعْلَوْا شَأْنَ الْإِسْلَامِ ، وَرَفَعُوا أَلْوِيَةَ الْعِلْمِ ، وَنَشَرُوا الْحَضَارَةَ وَالْمَدَنِيَّةَ فِى الْبِلَاد .

٨ – صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيُّ

نُبَذٌ مِنْ صِفَاتِهِ :

(١) كَانَ قَلْبُ الْأَسَدِ (مَلِكُ الْإِنْجِلِيزِ) عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ مِنَ الصَّلِيبِيِّينَ (النَّصَارَى) الَّذِينَ يُحَارِبُونَ صَلَاحَ الدِّينِ ، فَمَرِضَ وَاحْتَاجَ إِلَى ثَلْجٍ وَمَاءٍ بَارِدٍ وَدَوَاءٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ صَلَاحُ الدِّينِ كُلَّ ذٰلِكَ ، وَلَمْ تَمْنَعْهُ الْعَدَاوَةُ الَّتِي بَيْنَهُمَا مِنَ الْبِرِّ بِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ .

يُسْتَخْلَصُ مِمَّا تَقَدَّمَ :

أَنَّهُ كَانَ عَالِيَ الْهِمَّةِ ، عَظِيمَ الْمُرُوءَةِ ، يُسَارِعُ إِلَى نَجْدَةِ مَنْ يَسْتَنْجِدُهُ وَلَوْ كَانَ مِنْ خُصُومِهِ .

(٢) لَمَّا أَمَّنَ رُؤَسَاءَ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا فِي بِلَادِهِ خَرَجَ بَعْضُهُمْ يَحْمِلُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً جَمَعَهَا مِنَ الْبِلَادِ ، فَقِيلَ لِصَلَاحِ الدِّينِ :

هَلَّا جَزْتَ هَٰذِهِ الْأَمْوَالَ وَأَنْفَقْتَهَا فِى مَصَالِحِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ . فَأَبَى وَقَالَ : لَا أَخُونُ عَهْدِى ، وَلَا آخُذُ إِلَّا الْمِقْدَارَ الْمَفْرُوضَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَهُوَ عَشَرَةُ دَنَانِيرَ فَحَسْبُ .

تَدُلُّنَا هَٰذِهِ الْحِكَايَةُ عَلَى أَنَّهُ :

كَانَ مِثَالًا صَالِحاً لِلْمُلُوكِ فِى الْوَفَاءِ بِعُهُودِهِمْ ، وَالْبُعْدِ عَمَّا يَشِينُ مُلْكَهُمْ .

(٣) لَمَّا اسْتَرَدَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مِنَ الصَّلِيبِيِّينَ (النَّصَارَى) وَأَسَرَ عَدَداً كَبِيراً مِنْهُمْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَأَطْلَقَ سَرَاحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُمٌّ يَعُولُهَا أَوْ بِنْتٌ أَوْ زَوْجَةٌ يَقُومُ بِشُؤُونِهَا .

تَدُلُّنَا هٰذِهِ الْمَكْرُمَةُ عَلَى أَنَّهُ :

كَانَ يُحْسِنُ مُعَامَلَةَ الْأَسْرَى مِنْ أَعْدَائِهِ ، وَكَانَ ذَا رَأْفَةٍ بِالضُّعَفَاءِ الَّذِينَ هُمْ فِى حَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُعْنَى بِأُمُورِهِمْ .

(٤) لَمَّا اجْتَمَعَ مُلُوكُ الْفِرِنْجَةِ لِمُحَارَبَتِهِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ لُصُوصٌ يَغْشَوْنَ خِيَامَ الْفِرِنْجَةِ ، وَيَسْرِقُونَ الرِّجَالَ وَالْأَطْفَالَ، فَاخْتَطَفُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ طِفْلًا رَضِيعًا، فَحَزِنَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا ، وَجَاءَتْ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ مُسْتَغِيثَةً بَاكِيَةً ، فَرَقَّ لَهَا قَلْبُهُ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ طِفْلِهَا ، فَوَجَدُوهُ قَدْ بِيعَ فِي السُّوقِ ، فَأَمَرَ بِرَدِّهِ وَدَفَعَ ثَمَنَهُ لِلْمُشْتَرِي ، وَسَلَّمَهُ إِلَى أُمِّهِ وَأَعَادَهَا إِلَى قَوْمِهَا آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً .

وَهٰذَا يَدُلُّنَا عَلَى مِقْدَارِ شَفَقَتِهِ ، وَرِقَّةِ قَلْبِهِ .

وَقَدْ وُلِدَ صَلَاحُ الدِّينِ بِتَكْرِيتَ (مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ بِالْقُرْبِ مِنْ بَغْدَادَ) سَنَةَ ٥٣٢ هـ ، وَنَشَأَ ذَكِيًّا نَشِيطًا مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ ، مُلِمًّا بِنَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ ، بَصِيرًا بِكَثِيرٍ مِنْ ضُرُوبِ الْفُرُوسِيَّةِ وَالشُّؤُونِ الْحَرْبِيَّةِ مِمَّا أَعَدَّهُ لِأَنْ يَكُونَ قَائِدًا مُجَرَّبًا ، أَلْقَى الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِ .

وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ بِمِصْرَ فى زَمَنِ الْخَلِيفَةِ الْعَاضِدِ ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِشَأْنِ مِصْرَ ، وَوَجَّهَ عِنَايَتَهُ إِلَى إِصْلَاحِهَا . فَأَلْغَى الضَّرَائِبَ الشَّخْصِيَّةَ ، وَرَفَعَ الْمَظَالِمَ الَّتِى كَانَتْ تَئِنُّ مِنْهَا الْبِلَادُ ، وَمَهَّدَ الطُّرُقَ ، وَشَقَّ التُّرَعَ ، وَحَصَّنَ مَدِينَةَ الْقَاهِرَةِ بِسُورٍ حَوْلَهَا مِنَ الْحِجَارَةِ جَعَلَ لَهُ أَبْوَابًا مُصَفَّحَةً بِالْحَدِيدِ ، وَبَنَى كَثِيرًا مِنَ الْمَشَافِى وَمَعَاهِدِ التَّعْلِيمِ ، وَبَدَأَ بِنَاءَ الْقَلْعَةِ الَّتِى عَلَى جَبَلِ الْمُقَطَّمِ بِالْقَاهِرَةِ ، وَلَمْ تَشْغَلْهُ شُؤُونُ الْمُلْكِ وَسِيَاسَةُ الدَّوْلَةِ عَنِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ بِجَمَاعَةٍ فى أَوْقَاتِهَا ، وَكَانَ يَقْضِى شَطْرًا مِنَ اللَّيْلِ فى التَّهَجُّدِ وَالْعِبَادَةِ ، وَأَنْشَأَ مَدَارِسَ لِتَعْلِيمِ الدِّينِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مَذْهَبٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ مَدْرَسَةً خَاصَّةً .

تَأَلَّبَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ دُوَلِ أُورُبَّا الْمَسِيحِيَّةِ وَجَمَعَتْ جُيُوشًا كَثِيرَةً ، وَكَانَ قَادَتَهَا مُلُوكُهَا ، وَسَيَّرُوا هٰذِهِ الْجُيُوشَ لِمُحَارَبَةِ

الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ صَلاَحِ الدِّينِ وَقَائِعُ كَثِيرَةٌ انْتَصَرَ عَلَيْهِمْ فِيهَا ، وَرَدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَاسِرِينَ ، وَاسْتَرَدَّ مِنْهُمْ مَا كَانُوا قَدِ اسْتَوْلَوْا عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

٩ — السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ
رَضِىَ اللهُ عَنْهَا

أَمْثِلَةٌ مِنْ خَلَائِقِهَا :

(١) كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو فِى أَوَّلِ الْأَمْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا ، وَلَمَّا أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَجْهَرَ بِالدَّعْوَةِ نَقَمَ مِنْهُ الْكُفَّارُ ذٰلِكَ ، وَنَالَهُ مِنْهُمْ أَذًى كَثِيرٌ ، فَكَانَ لِلسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ فَضْلٌ كَبِيرٌ فِى مُوَاسَاتِهِ ، وَتَخْفِيفِ آلَامِهِ ، وَدَفْعِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَذَى عَنْهُ ، لَا تُظْهِرُ ضَجَرًا وَلَا تَأَفُّفًا . فَكَانَتْ بِذٰلِكَ مِثَالَ الزَّوْجَةِ الْمُخْلِصَةِ لِزَوْجِهَا : تَشْرَحُ صَدْرَهُ ، وَتُذْهِبُ عَنْهُ مَشَاقَّ الْحَيَاةِ .

وَكَانَ لِعَمَلِهَا هٰذَا الْأَثَرُ الْكَبِيرُ فى نَجَاحِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ .

(٢) كَانَ النَّبِيُّ يَخْرُجُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ إِلَى غَارٍ فى جَبَلِ حِرَاءَ لِعِبَادَةِ اللهِ ، فَكَانَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ تُعِدُّ لَهُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ ، فَإِذَا نَفِدَ جَهَّزَتْ لَهُ غَيْرَهُ ، وَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْىُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ اعْتَرَاهُ الْفَزَعُ ، وَعَادَ إِلَى خَدِيجَةَ مُضْطَرِباً ، وَقَصَّ عَلَيْهَا مَا حَدَثَ لَهُ ، فَأَخَذَتْ تُسَرِّى عَنْهُ ، وَتُزِيلُ خَوْفَهُ ، وَتُوَاسِيهِ بِالْقَوْلِ الْعَذْبِ ، وَكَانَ مِمَّا قَالَتْهُ لَهُ : " أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ " . ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهِ إِلَى ابْنِ عَمٍّ لَهَا كَانَ ذَا عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْخَبَرَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الَّذِى نَزَلَ عَلَيْكَ هُوَ الْمَلَكُ الَّذِى كَانَ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى ، وَإِنَّكَ لَنَبِيُّ اللهِ إِلَى هٰذِهِ الْأُمَّةِ ، فَاطْمَأَنَّ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَالَ مَا اعْتَرَاهُ مِنَ الْخَوْفِ .

فَدَلَّ ذٰلكَ عَلَى كَبِيرِ عِنَايَتِهَا بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَتَثْبِيتِ فُؤَادِهِ ، وَإِذْهَابِ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ عَنْ نَفْسِهِ .

(٣) كَانَتْ وَاسِعَةَ الْغِنَى وَافِرَةَ الثَّرَاءِ ، فَلَمْ تَسْلُكْ فِى مَالِهَا طَرِيقَ التَّبْذِيرِ وَالْإِسْرَافِ ، وَإِنْفَاقِهِ فِى الزُّخْرُفِ الَّذِى لَا يُفِيدُ ، شَأْنَ الْجَاهِلَاتِ مِنَ الْمُوسِرَاتِ ، بَلْ أَخَذَتْ فِى تَنْمِيَتِهِ مِنْ طَرِيقِ التِّجَارَةِ فِيهِ ، فَكَانَتْ تَعْهَدُ بِهِ إِلَى الْأُمَنَاءِ الْخَبِيرِينَ ، إِلَى أَنِ اهْتَدَتْ إِلَى الرَّسُولِ الْأَمِينِ فَسَلَّمَتْهُ إِلَيْهِ ، فَبَارَكَ اللّٰهُ لَهَا فِيهِ وَرَبِحَ رِبْحًا كَثِيرًا ، وَأَفَادَ فَائِدَةً عَظِيمَةً كَانَتْ سَبَبًا فِى حُبِّهَا إِيَّاهُ وَتَزَوُّجِهَا مِنْهُ .

نَسْتَفِيدُ مِنْ هٰذَا :

أَنَّهَا كَانَتْ مُدَبِّرَةً لِمَالِهَا ، تُحْسِنُ اخْتِيَارَ طُرُقِ تَثْمِيرِهِ وَتَعْهَدُ بِذٰلِكَ إِلَى الْأُمَنَاءِ .

هٰذَا ، وَهِىَ أَوَّلُ أَزْوَاجِ الرَّسُولِ ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ ، كَانَتْ أَعْظَمَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شَرَفًا ، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا ، وَأَحْسَنَهُنَّ خُلُقًا وَكَمَالًا ، وَأَطْهَرَهُنَّ سِيرَةً ، ٱشْتَهَرَتْ بَيْنَهُنَّ بِجَوْدَةِ الرَّأْيِ وَطِيبِ الْقَوْلِ ، خَطَبَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَعُظَمَائِهِمْ فَأَبَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، حَتَّى تَبَيَّنَ لَهَا صِدْقُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَانَتُهُ بَعْدَ أَنِ ٱخْتَبَرَتْهُ فِي ٱتِّجَارِهِ بِمَالِهَا ، وَرَأَتْ مِنْ عُلُوِّ نَفْسِهِ وَسُمُوِّ أَخْلَاقِهِ ، فَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ وَتَزَوَّجَتْهُ وَسِنُّهَا حِينَذَاكَ أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَسِنُّهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ ، وَبَقِيَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَتْ قَبْلَ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ ، فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ . فَحَزِنَ عَلَيْهِمَا النَّبِيُّ حُزْنًا شَدِيدًا ، وَسَمَّى ذٰلِكَ الْعَامَ عَامَ الْحُزْنِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تُوَاسِيهِ فِي ٱلشَّدَائِدِ ، وَتُنْسِيهِ آلَامَهُ وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ أَذَى قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ ، وَلِذٰلِكَ لَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا الرَّسُولُ فِي حَيَاتِهَا ، وَرُزِقَ مِنْهَا أَوْلَادًا مِنْهُمْ :

ٱلْقَاسِمُ ، وَعَبْدُ اللهِ ، وَزَيْنَبُ ، وَفَاطِمَةُ ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ ، وَرُقَيَّةُ .

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ عُلُوِّ مَنْزِلَتِهَا عِنْدَ النَّبِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي شَأْنِهَا : " آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ " .

١٠ — السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ

رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

آيَاتُ عِلْمِهَا وَفَضْلِهَا :

(١) كَانَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ ، مِثْلُ عُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا فِيمَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ عُرْوَةُ : " مَا رَأَيْتُ أَحَداً مِنَ النَّاسِ أَعْلَمَ بِالْقُرْآنِ وَلَا بِفَرِيضَةٍ ، وَلَا بِحَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ ، وَلَا بِشِعْرٍ وَلَا بِحَدِيثٍ ، وَلَا بِنَسَبٍ وَلَا بِطِبٍّ — مِنْ عَائِشَةَ " .

يَتَّضِحُ مِنْ هٰذَا أَنَّهَا كَانَتْ عَلَى جَانِبٍ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَالتَّفَقُّهِ فِى ٱلدِّينِ ، وَلِذَا كَانَتْ مَرْجِعاً ثِقَةً لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ .

(٢) كَانَتْ تَبْذُلُ الْمَالَ وَتَتَصَدَّقُ بِهِ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ ، وَتَشْتَرِى الجَوَارِى وَتُعْتِقُهُنَّ لِوَجْهِ اللّٰهِ . قَالَ عُرْوَةُ : رَأَيْتُهَا تَتَصَدَّقُ بِسَبْعِينَ أَلْف دِرْهَمٍ وَهِىَ فِى ثَوْبٍ خَلَقٍ .

وَهٰذَا يَدُلُّنَا :

(١) عَلَى حُبِّهَا الخَيْرَ وَالْإِنْفَاقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُعْوِزِينَ .

(ب) وَعَلَى زُهْدِهَا فِى الدُّنْيَا وَمَلَاذِّهَا .

(٣) لَمَّا قُتِلَ أَخُوهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى بَكْرٍ بِمِصْرَ وَكَانَ لَهُ أَطْفَالٌ صِغَارٌ ضَمَّتْ أَوْلَادَهُ إِلَيْهَا ، وَتَوَلَّتْهُمْ بِالْإِنْفَاقِ وَالْمُوَاسَاةِ ، وَكَانَتْ أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ وَأَبَرَّ بِهِمْ مِنْ وَالِدِهِمْ وَوَالِدَتِهِمْ حَتَّى كَبِرُوا ، فَسَلَّمَتْهُمْ إِلَى عَمِّهِمْ لِيَقُومَ بِتَعْلِيمِهِمْ وَتَثْقِيفِهِمْ .

يكشف هذا الأثر عن مبلغ شفقتها وبرها بذوى قرابتها ، ووقايتهم من عوادى الأيام .

ولدت سنة أربع من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها رسول الله بعد وفاة السيدة خديجة ، وكانت أحب نسائه إليه ، لما اتصفت به من مكارم الصفات .

ونشأت فى بيت أبيها أبى بكر وهو من أعلم الناس بأنساب العرب وتاريخهم ، فأخذت عنه علم ذلك حتى كانت حجة ثقة فى تاريخ العرب وأنسابهم ، ثم انتقلت وهى حدثة إلى بيت الرسول صلوات الله عليه بعد الهجرة ، وأحكام التشريع الإسلامى تترى ، فكان لها فضل مشاركة النبى صلى الله عليه وسلم فى تعليم المسلمين ، وإبلاغهم أمور دينهم وبخاصة النساء . وكانت على جانب عظيم من الذكاء والفطنة ، وروت عن رسول الله صلى الله

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُمْلَةً كَبِيرَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ، وَرَوَى عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَكَانَتْ أَكْثَرَ أَصْحَابِ الرَّسُولِ رِوَايَةً لِلْحَدِيثِ وَأَوْثَقَهُمْ ، حَتَّى كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ إِذَا رَوَى عَنْهَا يَقُولُ : "حَدَّثَتْنِي الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ" .

وَكَانَتْ كَثِيرَةَ الْبِرِّ بِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رُوِىَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ بَعَثَ إِلَيْهَا بِعِقْدٍ مِنَ الذَّهَبِ فِيهِ جَوْهَرٌ قِيمَتُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَسَمَتْهُ بَيْنَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

الْعَادَاتُ الْمُسْتَهْجَنَةُ وَالْخُرَافَاتُ الشَّائِعَةُ

يَشِيعُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ عَادَاتٌ ضَارَّةٌ ، وَعَقَائِدُ بَاطِلَةٌ ، وَخُرَافَاتٌ لَا نَصِيبَ لَهَا مِنَ الصِّحَّةِ ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهَا مِنْ عَقْلٍ أَوْ فَائِدَةٍ أَوْ دِينٍ .

وَيَخْتَلِفُ انْتِشَارُ هٰذِهِ العَادَاتِ بِاخْتِلَافِ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّهْذِيبِ ، فَكُلَّمَا كَانَتِ الْأُمَّةُ مُتَعَلِّمَةً رَاقِيَةً مُتَمَسِّكَةً بِآدَابِ الدِّينِ قَلَّتْ هٰذِهِ الْخُرَافَاتُ وَضَعُفَ تَأْثِيرُهَا فِي النُّفُوسِ وَالْعُقُولِ وَكُلَّمَا بَعُدَتْ عَنِ التَّمَسُّكِ بِالدِّينِ وَالِاقْتِدَاءِ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ لِهٰذِهِ الْأُمُورِ سُلْطَانٌ كَبِيرٌ وَنُفُوذٌ عَظِيمٌ لَا يَسْهُلُ إِنْكَارُهُ وَالْخُرُوجُ عَلَيْهِ .

فَمِنَ الْخُرَافَاتِ الْبَاطِلَةِ :

الــزَّارُ

يَعْتَقِدُ بَعْضُ النِّسَاءِ الْجَاهِلَاتِ أَنَّ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْعَصَبِيَّةِ وَنَحْوِهَا مَا لَمْ يَهْتَدِ الطِّبُّ إِلَى عِلَاجِهِ ، وَلَمْ يَصِلِ الْأَطِبَّاءُ إِلَى دَوَاءٍ لَهُ ، وَيَزْعُمْنَ أَنَّ هٰذِهِ الْأَمْرَاضَ نَاشِئَةٌ عَنْ مَسٍّ مِنَ الْجِنِّ لِلْمَرِيضَةِ . فَلَا يَذْهَبُ مَرَضُهَا وَلَا تَعُودُ إِلَيْهَا صِحَّتُهَا إِلَّا إِذَا عَمِلَتِ الزَّارَ ، وَهٰذَا نَاشِئٌ مِنْ تَسَلُّطِ الْجَهْلِ وَالْحُمْقِ عَلَيْهِنَّ ، وَمِنْ

الانغماسِ فى التَّرَف أحيانًا . ويَزيدُ هذا السُّلطانُ بتأثيرِ بعضِ شياطينِ الإنسِ مِنَ النِّساءِ اللَّاتى قد اتَّخذنَ هذا العملَ صِناعةً وَحِرفةً لهُنَّ تدرُّ عليهِنَّ الخيرَ الكثيرَ والمالَ الوافرَ .

مَضارُّ الزَّارِ ومفاسِدُهُ :

(١) إنفاقُ المالِ فيما لا يُفيدُ، بَلْ يجلِبُ أضرارًا كثيرةً ، والإسرافُ فى شِراء الملابسِ والحُلِىِّ .

(٢) أنه يسبِّبُ النِّزاعَ والخِصامَ بينَ الزوجِ وزوجِها لإرهاقِها إيَّاه بما لا طاقةَ لهُ بِهِ ، أو بِصرفِ المالِ فى غيرِ منفعةٍ ظاهرةٍ ؛ وربَّما كانَ بيتُها أحوجَ ما يكونُ إلى ما أُنفِقَ مِنْ هذا المالِ ، وقد يُؤدِّى هذا النِّزاعُ الى الفِراقِ .

(٣) إيذاءُ الجيرانِ وإقلاقُ راحتِهِمْ بتلكَ الطُّبولِ والأصواتِ المُفزِعَةِ ليالِىَ وأيَّامًا .

(٤) اخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ فى بَعْضِ الْأَحَايِينِ ، وَهٰـذَا مُنْكَرٌ شَنِيعٌ لَا يَرْضَى بِهِ عَاقِلٌ ، وَلَا يُقِرُّهُ دِينٌ وَلَا خُلُقٌ كَرِيمٌ .

وَقَدْ دَلَّتِ ٱلتَّجَارِبُ عَلَى أَنَّ هٰذَا الْعَمَلَ نَوْعٌ مِنَ الْحُمْـقِ وَالْجَهْلِ وَالتَّغْرِيرِ بِالسُّذَّجِ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ لِٱبْتِزَازِ الْأَمْوَالِ . وَخَيْرٌ لِمَنْ أُصِيبَتْ بِمَرَضٍ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الْأَطِبَّاءِ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ ، وَبِذَا تَكُونُ قَدْ سَلَكَتِ ٱلطَّرِيقَ الطَّبَعِيَّ لِمَعْرِفَةِ مَرَضِهَا وَمُدَاوَاةِ عِلَّتِهَا ، كَمَا يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ — بِمَا لَهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى النِّسَاءِ — أَلَّا يُجَارُوهُنَّ فى أَهْوَائِهِنَّ وَنَزَعَاتِهِنَّ ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِنَ الْحَزْمِ وَقُوَّةِ النُّفُوذِ مَا يَحُولُ بَيْنَ نِسَائِهِمْ وَالِانْقِيَادِ لِتِلْكَ الْخُرَافَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ .

الْمَآتِمُ وَمَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنَ الْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ

مَا أَجْمَلَ الصَّبْرَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ ، وَمَا أَحْسَنَ التَّجَلُّدَ وَالْعَزَاءَ ، وَٱلِاقْتِدَاءَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِ

وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ : " تَدْمَعُ الْعَيْنُ ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ ، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ " .

وَهٰذِهِ الْخَنْسَاءُ أَمِيرَةُ الشُّعَرَاءِ ، أَرْسَلَتْ أَوْلَادَهَا الْأَرْبَعَةَ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَاسْتُشْهِدُوا جَمِيعًا فِي حَرْبِ الْقَادِسِيَّةِ زَمَنَ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَلَمَّا عَلِمَتْ بِذٰلِكَ قَالَتْ :

" الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ فِي سَبِيلِ نُصْرَةِ الدِّينِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَأَرْجُو أَنْ يُلْحِقَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ " ، وَلَمْ تَسْتَرْسِلْ فِي الْجَزَعِ وَالْأَحْزَانِ .

أَمَّا فِي زَمَانِنَا فَقَدْ أَهْمَلَ النَّاسُ تَعَالِيمَ الدِّينِ الْقَوِيمِ ، وَعَمِلُوا مَا كَانَ يُصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَتَوْا مِنَ الْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ مَا يَبْرَأُ مِنْهُ الْإِسْلَامُ . فَمِنْ ذٰلِكَ :

(١) شَقُّ الْجُيُوبِ (وَهِيَ فَتَحَاتُ الثِّيَابِ الَّتِي تُلْبَسُ مِنْهَا) وَلَطْمُ الْخُدُودِ ، وَالصِّيَاحُ بِأَصْوَاتٍ مُنْكَرَةٍ . بَلْ قَدْ بَالَغَ كَثِيرٌ

مِنَ النِّساءِ فِى النَّدْبِ والنِّيَاحَةِ ، وَتَشْوِيهِ وُجُوهِهِنَّ بِالْأَصْابِعِ ، وَٱسْتَأْجَرْنَ النَّادِبَاتِ لِيَضْرِبْنَ بِالدُّفُوفِ ، وَيَقُلْنَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يُثِيرُ الْأَحْزَانَ ، مُخَالِفَاتٍ فِى ذٰلِكَ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدُعَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ" .

(٢) خُرُوجُ النِّسَاءِ خَلْفَ الْجَنَائِزِ، وَهُنَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الشَّنِيعَةِ وَالْأَصْوَاتِ الْمُفْزِعَةِ .

(٣) التَّغَالِى فِى الْكَفَنِ وَشِرَاءُ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ ، مَعَ أَنَّ السُّنَّةَ أَنْ يُكَفَّنَ الْمَيِّتُ فِى ثِيَابِ الْقُطْنِ الْبِيضِ .

(٤) تَأْخِيرُ الْجَنَازَةِ حَتَّى يَجْتَمِعَ الْمُشَيِّعُونَ وَيَكْثُرَ عَدَدُهُمْ ، مَعَ أَنَّ السُّنَّةَ التَّعْجِيلُ بِالدَّفْنِ . وَكَذَا تَأْجِيرُ أُنَاسٍ بِأَزْيَاءٍ خَاصَّةٍ، بَعْضُهُمْ يَحْمِلُ الْقَمَاقِمَ وَالْمَبَاخِرَ، وَبَعْضُهُمْ يَتْلُو أَبْيَاتًا مِنْ قَصِيدَةِ الْبُرْدَةِ أَوْ شَيْئًا مِنْ "دَلَائِلِ الْخَيْرَاتِ"، وَبَعْضُهُمْ يُغَنِّى بِمَا لَا يُفْهَمُ،

وَرُبَّمَا أَدَّى الْجَهْلُ وَالْحُمْقُ إِلَى اسْتِئْجَارِ الْمُوسِيقِى لِتَصْدَحَ ، وَالْأَجْنَادِ لِيَسِيرُوا عَلَى جَانِبَيِ النَّعْشِ مُشَاةً وَرُكْبَانًا .

دَعْ عَنْكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُشَيِّعِينَ يَتَحَدَّثُونَ فِى شُؤُونِهِمُ الْخَاصَّةِ غَيْرَ آبِهِينَ بِجَلَالِ الْمَوْتِ وَرَهْبَتِهِ .

(٥) الْإِسْرَافُ فِى لَيَالِى الْمَآتِمِ وَأَيَّامِهِ بِذَبْحِ الذَّبَائِحِ الْكَثِيرَةِ ، وَإِقَامَةِ السُّرَادِقَاتِ الْفَخْمَةِ ، وَفَرْشِهَا بِأَفْخَرِ الرِّيَاشِ ، وَإِضَاءَتِهَا بِالْأَنْوَارِ السَّاطِعَةِ ، وَاسْتِئْجَارِ مَشْهُورِى الْقُرَّاءِ ، وَإِعْدَادِ الْمَآدِبِ وَعَلَيْهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ لِلْمُعَزِّينَ .

وَقَدْ تَجُرُّ هٰذِهِ الْمَظَاهِرُ الْكَاذِبَةُ إِلَى الِاسْتِدَانَةِ بِالرِّبَا فَيَجْتَمِعُ مَعَ الْمَوْتِ الْفَقْرُ وَالْخَرَابُ .

(٦) أَضِفْ إِلَى ذٰلِكَ مَا يُشَادُ عَلَى الْقُبُورِ مِنَ الْمَبَانِى الْفَخْمَةِ وَالدُّورِ الشَّاهِقَةِ ، وَفَرْشِهَا بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْأَثَاثِ ، مَعَ أَنَّ السُّنَّةَ

أنْ يَكُونَ الدَّفْنُ فِى شَقٍّ أَوْ لَحْدٍ ، وَأَلَّا يُتَّخَذَ عليهِ شَىْءٌ مِنَ الْبِنَاءِ إِلَّا مَا يَكُونُ علامَةً على الْقَبْرِ .

فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّبِعُوا أَوَامِرَ دِينِهِم الَّتِى فِيهَا سَعَادَتُهُمْ وَرِضَا رَبِّهِمْ ، وَأَنْ يَجْتَنِبُوا نَوَاهِيَه وَكُلَّ مَا يُغْضِبُهُ مِنْ تِلْكَ الْبِدَعِ وَالأَبَاطِيلِ .

العادات المستقبحة فى الأفراح

(١) الْمُغَالَاةُ فى الْمُهُور :

اعْتَادَ النَّاسُ فِى الْمُهُورِ عَادَةً مَرْذُولَةً هِىَ أَنْ يَطْلُبَ أَهْلُ الْبِنْتِ مِمَّنْ يَخْطُبُهَا مَهْرًا عَالِيًا ، قَدْ لَا يَتَّفِقُ مَعَ ثَرْوَتِهِ ، أَوْ يُرْهِقُهُ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ ، فَيُضْطَرُّ إِمَّا إِلَى الْعُدُولِ عَنِ الزَّوَاجِ ، أَوْ إِلَى دَفْعِ مَا طَلَبُوهُ مُرْغَمًا ، وَرُبَّمَا حَصَّلَهُ بِالاسْتِدَانَةِ أَوْ بِبَيْعِ مَا يَمْلِكُ ، وَهٰذَا شَرُّ مَا تُسْتَفْتَحُ بِهِ الْحَيَاةُ الزَّوْجِيَّةُ ، وَلَيْتَهُمْ يَقْتَصِرُونَ مِنْهُ عَلَى مَا طَلَبُوا ، بَلْ يُلْزِمُونَهُ بِإِحْضَارِ مَا يُسَمَّى " بِالشَّبْكَةِ ،

وَالنِّيشَانِ" ، وَتَقْدِيمِ الْهَدَايَا الْمُخْتَلِفَةِ فِى الْمَوَاسِمِ وَالْأَعْيَادِ ، مِمَّا قَدْ يَصِلُ إِلَى مِقْدَارِ مَهْرٍ آخَرَ .

وَهٰذِهِ عَادَاتٌ قَبِيحَةٌ ضَارَّةٌ ، قَدْ صَرَفَتْ كَثِيراً مِنَ الشُّبَّانِ عَنِ الزَّوَاجِ ، حَتَّى أَصْبَحَ أَكْثَرُ الْفَتَيَاتِ عَوَانِسَ لَا يَجِدْنَ الرَّاغِبَ فِيهِنَّ .

وَلَوِ اتَّبَعَ الْقَوْمُ الِاعْتِدَالَ فِى ذٰلِكَ وَالِاهْتِدَاءَ بِهَدْيِ الرَّسُولِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَسَعِدُوا وَأَسْعَدُوا بَنَاتِهِمْ ، فَقَدْ زَوَّجَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ابْنَتَهُ سَيِّدَةَ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ مِنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ ، (أَىْ نَحْوِ عَشَرَةِ جُنَيْهَاتٍ مِصْرِيَّةٍ) .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " أَقَلُّهُنَّ صَدَاقاً أَكْثَرُهُنَّ بَرَكَةً " . وَقَدْ وَفَّقَ اللّٰهُ تَعَالَى " جَمَاعَةَ الِاتِّحَادِ النِّسَائِىِّ بِمِصْرَ " إِلَى اتِّبَاعِ هٰذِهِ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ ، فَدَعَوْنَ الْآبَاءَ إِلَى الْإِقْلَالِ مِنَ الْمُهُورِ ، وَالِاقْتِصَادِ

فِيمَا يَتْبَعُ ذٰلِكَ مِنْ نَفَقَاتٍ ، فَلَبَّى كَثِيرٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْقَوْمِ هٰذِهِ الدَّعْوَةَ مَسْرُورِينَ .

٢ — الإسراف فى الجهاز :

لَقَدْ خَرَجَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِى تَجْهِيزِ الْعَرُوسِ عَنْ حَدِّ الاعْتِدَالِ الْمَحْمُودِ إِلَى التَّبْذِيرِ الْمُحَرَّمِ الْمَمْقُوتِ . تَرَى الرَّجُلَ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَالِهِ وَقُدْرَتِهِ ، بَلْ يُرْهِقُ نَفْسَهُ فِى تَجْهِيزِ ابْنَتِهِ وَالْمُبَالَغَةِ فِى ذٰلِكَ حَتَّى يَقَعَ فِى ارْتِبَاكٍ مَالِىٍّ ، يُثْقِلُ كَاهِلَهُ بِالدُّيُونِ ، وَقَدْ يَذْهَبُ بِثَرْوَتِهِ ، فَيُصْبِحُ فَقِيراً بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنَ الْمُوسِرِينَ .

وَلَيْتَهُ يُعِدُّ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ ، أَوْ تَقْتَضِيهِ مَرَافِقُ الْحَيَاةِ ، بَلْ كُلُّهُ زِينَةٌ وَزُخْرُفٌ ، سَرِيعُ الْعَطَبِ ، قَرِيبُ التَّلَفِ ، لَا يُنْتَفَعُ بِهِ طَوِيلًا ، وَلَا بَاعِثَ عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا الْمُبَاهَاةُ الْكَاذِبَةُ وَالتَّفَاخُرُ الْمَرْذُولُ .

وَكَمْ تَكُونُ الْبَلِيَّةُ لَوْ قُدِّرَ لِلزَّوْجِيَّةِ أَنْ تَنْفَصِمَ عُرَاهَا بَعْدَ زَمَنٍ قَصِيرٍ .

فَمِنَ الْحَزْمِ وَالاعْتِدَالِ الاقْتِصَادُ فِى الْجِهَازِ ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَمَا يُنَاسِبُ حَالَ الزَّوْجَيْنِ وَحَالَ أُسْرَتَيْهِمَا وَمَا يُمْكِنُ الانْتِفَاعُ بِهِ زَمَنًا طَوِيلًا . وَبِذٰلِكَ تَقِلُّ الْمُغَالَاةُ فِى الْمُهُورِ، فَيُقْبِلُ الشُّبَّانُ عَلَى الزَّوَاجِ ، وَيَخِفُّ الْعِبْءُ عَنِ الْآبَاءِ .

٣ — ما يصنع فى الأعراس :

تُخْتَمُ الْمَفَاسِدُ وَالْعَادَاتُ الْقَبِيحَةُ فِى الزَّوَاجِ بِمَا يُصْنَعُ لَيْلَةَ الْعُرْسِ ، مِنْ إِقَامَةِ الزِّينَاتِ، وَنَصْبِ السُّرَادِقَاتِ وَفَرْشِهَا بِأَفْخَرِ الْأَثَاثِ، وَذَبْحِ الذَّبَائِحِ، وَإِحْضَارِ الْمُغَنِّينَ وَالْمُغَنِّيَاتِ، وَإِعْدَادِ الْوَلَائِمِ ،وَدَعْوَةِ الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ ، رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً . نَاهِيكَ

بِمَا يَحْصُلُ مِنَ الافْتِنَانِ فِي الْأَزْيَاءِ الْحَدِيثَةِ ، والْمُبَاهَاةِ بِالثِّيَابِ الْجَدِيدَةِ، واخْتِلَاطِ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، وَشُرْبِ الخُمُورِ، حَتَّى كَأَنَّ الْقَوْمَ لَا يَجِدُونَ سُرُورَهُمْ إِلَّا فِيمَا يُغْضِبُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

نَعَمْ إِنَّ مِنَ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ أَنْ تُقَامَ الْوَلِيمَةُ لِإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى الزَّوْجَيْنِ لَيْلَةَ عُرْسِهِمَا ، وَلِيَشْتَهِرَ الزَّوَاجُ بَيْنَ النَّاسِ . وَقَدْ أُبِيحَ الضَّرْبُ بِالدُّفِّ لِإِينَاسِ الْعَرُوسَيْنِ، وَلٰكِنْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ فِي حُدُودِ الْحِشْمَةِ وَالسُّرُورِ الْمُبَاحِ .

وَمِمَّا يَسْتَوْجِبُ الْأَسَفَ أَنَّ مَا يُقَامُ مِنْ وَلَائِمِ الْعُرْسِ يُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى الْوُجَهَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ ، وَلَا يَنَالُ الْفُقَرَاءَ مِنْهَا شَيْءٌ ، مَعَ أَنَّهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ فِي مِثْلِ هٰذِهِ الْأَفْرَاحِ .

زيارة الأوليـاء

الوَلِيُّ :

هُوَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَحْدَهُ ، وَاتَّبَعَ أَوَامِرَهُ ، وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيَهُ ، وَأَخْلَصَ لَهُ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ ، وَرَاقَبَهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ .

وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الدُّنْيَا رِفْعَةً وَكَرَامَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ دَرَجَةً عَالِيَةً وَمَنْزِلَةً سَامِيَةً ، وَهُوَ مَعَ كُلِّ ذٰلِكَ لَيْسَ إِلَّا إِنْسَانًا لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا .

فَزِيَارَةُ قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْغَرَضُ مِنْهَا الْعِظَةَ بِهِمْ ، وَالِاعْتِبَارَ بِحَالِهِمْ ، وَالِاقْتِدَاءَ بِجَمِيلِ أَعْمَالِهِمْ ، وَطَلَبَ الرَّحْمَةِ مِنَ اللهِ لَهُمْ .

أَمَّا تَقْبِيلُ عَتَبَاتِ أَضْرِحَتِهِمْ ، وَالتَّمَسُّحُ بِجُدْرَانِهَا ، وَأَعْمِدَتِهَا ، وَطَلَبُ قَضَاءِ الْمَصَالِحِ مِنْ أَصْحَابِهَا ، فَإِنَّهَا مُنْكَرَاتٌ تُنَافِي التَّوْحِيدَ الْوَاجِبَ لِلهِ ، الَّذِي هُوَ أَسَاسُ الْإِيمَانِ .

وكيف يستبيح مؤمن أن يترك خالقه ، ورازقه ، ومن بيده إحياؤه ومماته ، ومن هو أقرب إليه من حبل الوريد ، يستجيب دعاء من دعاه في منزل أو شارع أو صحراء .

وكيف يعرض الإنسان عن ربه ، ويلجأ إلى مخلوق عاجز عن جلب النفع لنفسه ، أو دفع الضر عنها ، يسأله ما لا يستطيع ، ويطلب منه ما لا يقدر عليه ، ويبذل له من النذور بسخاء وكرم ما لا يستفيد الولي منه ، وما يجب أن ينفقه على نفسه أو على الفقراء إن كان في غنى عنه .

فالواجب على كل مسلم أن يبتعد عما يفعله الجهلة من تلك الأباطيل المخالفة للدين ، وأن يكون احترامه للأولياء بقراءة تاريخهم والاقتداء بهم في أعمالهم الصالحة والدعاء لهم بالرحمة والغفران .

زيارة القبور

القَصْدُ مِنْ زِيارَةِ القُبورِ تَذَكُّرُ المَوْتِ وَرَهْبَتِهِ ، وَكَيْفَ أَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الوالِدِ وَوَلَدِهِ ، وَبَيْنَ الأَخِ وَأَخِيهِ ، وَبَيْنَ الصَّدِيقِ وَصَدِيقِهِ . وَلَقَدْ كانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُ مَقْبَرَةَ المَدِينَةِ وَيَقُولُ : " السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ " ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ لَهُ وَلَهُمْ .

وَلٰكِنَّ النَّاسَ — رِجالًا وَنِساءً — قَدْ أَهْمَلُوا آدابَ الدِّينِ وَتَرَكُوا أَوامِرَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَاعْتادُوا عاداتٍ ذَمِيمَةً لا يُقِرُّها دِينٌ وَلا خُلُقٌ ، وَابْتَدَعُوا بِدَعًا مَرْذُولَةً مَمْقُوتَةً فِي زِيارَةِ القُبورِ : يَخْرُجُونَ إِلَيْها فِي مَواسِمَ مُعَيَّنَةٍ كَأَوَّلِ جُمُعَةٍ مِنْ رَجَبٍ ، وَفِي العِيدَيْنِ ، وَفِي كُلِّ خَمِيسٍ أَوْ جُمُعَةٍ بَعْدَ وَفاةِ المَيِّتِ إِلَى يَوْمِ الأَرْبَعِينَ مِنْ وَفاتِهِ . وَصارَ ذٰلِكَ لازِمًا عِنْدَ النِّساءِ لا يَحِدْنَ عَنْهُ وَلا يَمْتَنِعْنَ ، وَهُنَّ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَأْخُذْنَ أَنْواعًا مُتَعَدِّدَةً مِنْ

الْأَطْعِمَةِ وَالْفَاكِهَةِ عَلَى حَسَبِ الْمُعْتَادِ فِى كُلِّ جِهَةٍ ، يَأْكُلْنَ مِن ذٰلِكَ مَا يَأْكُلْنَهُ ، وَيُعْطِينَ الْفُقَرَاءَ بَعْضَهُ ، زَعْماً أَنَّ ذٰلِكَ يَرْحَمُ مَيِّتَهُنَّ وَيُخَفِّفُ عَنْهُ بَعْضَ عَذَابِهِ .

وَهٰذَا وَلَا شَكَّ جَهْلٌ وَحَمَاقَةٌ ، لِأَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ ثَوَابُ شَىْءٍ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَ قَدْ أَوْصَى بِهِ مِنْ مَالِهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ ، فَمَا بَالُكَ وَأَكْثَرُ مَا يُصْنَعُ مِنْهُ يَكُونُ عَلَى غَيْرِ رِضَا الْأَزْوَاجِ ، بَلْ قَدْ يَكُونُ الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ فِى حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَيْهِ ، وَكَثِيراً مَا يُسْتَعَانُ عَلَيْهِ بِالِاسْتِدَانَةِ وَالرِّبَا — كُلُّ ذٰلِكَ رِيَاءٌ وَسُمْعَةٌ ، وَإِنَّهُ مِمَّا يُغْرِى الْعَاطِلِينَ (الَّذِينَ اتَّخَذُوا الشِّحَاذَةَ حِرْفَةً لَهُمْ) بِالْبَطَالَةِ وَالْكَسَلِ مَعَ مَقْدِرَتِهِمْ عَلَى الْكَسْبِ وَالْعَمَلِ .

الغلوّ فى الأزياء

الْإِنْسَانُ شَدِيدُ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَلَابِسِ لِتَقِيَهُ الْحَرَّ وَالْقُرَّ ، وَتَدْفَعَ عَنْهُ الْأَذَى ، وَتُجَمِّلَ ظَاهِرَهُ ، وَتَسْتُرَ مِنْهُ مَاقَبُحَ ، وَلِذَا يَنْبَغِى

أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهَا عَلَى مَا يَفِي بِهٰذَا الْغَرَضِ ، مُرَاعِياً حَالَهُ وَمَالَهُ فَإنْ قَصَرَ عَنْ هٰذَا مَعَ قُدْرَتِهِ وَيَسَارِهِ كَانَ ذٰلِكَ مِنْهُ شُحًّا وَبُخْلاً ، وَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ كَانَ إِسْرَافاً وَتَبْذِيراً ، وَكِلَا الْحَالَيْنِ مَذْمُومٌ مَمْقُوتٌ .

وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ (وَبِخَاصَّةٍ السَّيِّدَاتُ) غَفَلُوا عَنْ ذٰلِكَ ، وَظَنُّوا أَنَّ الْجَمَالَ وَالتَّزَيُّنَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِلُبْسِ مَا كَانَ غَالِيَ الثَّمَنِ مُنَوَّعَ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ ، فَأَرْهَقْنَ أَنْفُسَهُنَّ وَأَزْوَاجَهُنَّ بِشِرَاءِ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ الْبَرَّاقَةِ الَّتِي يُسْرِعُ إِلَيْهَا الْبِلَى ، وَالِافْتِنَانِ فِي الْأَزْيَاءِ وَالتَّفْصِيلِ ، وَفَاتَهُمْ أَنَّ أَسَاسَ الْجَمَالِ وَالزِّينَةِ إِنَّمَا هُوَ حُسْنُ الْهِنْدَامِ وَالنَّظَافَةُ .

فَحُسْنُ الْهِنْدَامِ يَكُونُ بِاخْتِيَارِ الْأَنْوَاعِ الْمُنَاسِبَةِ الْمُلَائِمَةِ لِلْفُصُولِ وَالْأَجْوَاءِ وَالْعَادَاتِ ، مَعَ الِاعْتِنَاءِ بِتَخَيُّرِ الْأَلْوَانِ وَجَمَالِ التَّفْصِيلِ ، وَذٰلِكَ عُنْوَانُ حُسْنِ الذَّوْقِ .

وَالنَّظَافَةُ تُكْسِبُ الْمَلَابِسَ رَوْنَقاً ، وَلَابِسَهَا بَهْجَةً وَجَمَالًا . وَكَمْ مِنْ سَيِّدَةٍ أَوْ رَجُلٍ يَلْبَسُ الْخَزَّ وَالْحَرِيرَ وَيَعُدُّهُ النَّاسُ ثَقِيلَ الظِّلِّ فَاسِدَ الذَّوْقِ ، وَأُخْرَى تَلْبَسُ ثِيَابًا أَرْخَصَ مِنْ ذٰلِكَ وَلٰكِنَّهَا قَدْ عُنِيَتْ بِنَظَافَتِهَا وَحُسْنِ اخْتِيَارِ أَلْوَانِهَا ، فَتَفْضُلُ غَيْرَهَا وَتَبْدُو كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مَنْظَرًا وَبَهَاءً .

أَضِفْ إِلَى ذٰلِكَ مَا انْتَشَرَ بَيْنَ السَّيِّدَاتِ الْآنَ مِنْ لُبْسِ الثِّيَابِ الشَّفِيفَةِ الَّتِي لَا تَحْجُبُ مَا وَرَاءَهَا ، وَجَعْلِهَا عَلَى حَالٍ تُظْهِرُ صَدْرَ الْمَرْأَةِ وَذِرَاعَيْهَا ، وَبَعْضَ سَاقَيْهَا مِمَّا تَنْفِرُ مِنْهُ النُّفُوسُ الْكَرِيمَةُ ، وَتَمُجُّهُ الْأَذْوَاقُ السَّلِيمَةُ ، وَيَمْقُتُهُ الدِّينُ الْقَوِيمُ .

هٰذَا إِلَى تَعَدُّدِ الْأَزْيَاءِ ، فَمِنْ قَصِيرٍ لَا يَقِي ضَرَرًا ، إِلَى طَوِيلٍ مَرْذُولٍ ، وَمِنْ ضَيِّقٍ يُحْشَرُ فِيهِ الْجِسْمُ حَشْرًا ، إِلَى وَاسِعٍ تَسْبَحُ فِيهِ الْمَرْأَةُ سَبْحًا .

وَلَيت مَا تُصْنَعُ مِنْهُ تِلْكَ الْمَلَابِسُ أَوْ مَنْ يَصْنَعُهُ مِنْ مِصْرَ وَٱلْمِصْرِيِّينَ ، أَوْ يَعُودُ عَلَيْهَا وَعَلَيْهِمْ فَائِدَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْهُ ، إِذًا لَهَانَ الْخَطْبُ قَلِيلاً ، وَخَفَّت ٱلْمُصِيبَةُ ، وَلٰكِنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى أَيْدِى غَيْرِ الْمِصْرِيِّينَ . وَفِى ذٰلِكَ ضَيَاعٌ لِثَرْوَةِ الْبِلَادِ ، وَبَوَارٌ لِلصِّنَاعَةِ الْمِصْرِيَّةِ وَالتِّجَارَةِ الْوَطَنِيَّةِ ، فَكَأَنَّنَا نَقْضِى بِأَيْدِينَا عَلَى ثَرْوَتِنَا وَتِجَارَتِنَا وَصِنَاعَتِنَا ، وَنُقَدِّمُهَا لِلأَجَانِبِ غَنِيمَةً سَائِغَةً .

وَلَا يُنْقِذُنَا مِنْ هٰذِهِ الرَّذَائِلِ إِلَّا الرُّجُوعُ إِلَى أَحْكَامِ دِينِنَا ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ ، وَالْحِرْصُ عَلَى مُسْتَقْبَلِ بِلَادِنَا وَثَرْوَتِنَا ، وَكُلِّ مَا يَعُودُ عَلَى الْوَطَنِ الْعَزِيزِ بِالرِّفْعَةِ وَالْفَلَاحِ .

العبادات

(ا) الزكاة

(١) معناها — هِيَ إِخراجُ جُزْءٍ مُعَيَّنٍ من المَالِ وَتَمْلِيكُهُ لِمَنْ أَوْجَبَ اللهُ صرفَهُ إِلَيْهِمْ .

وَهِيَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ .

(٢) من تجب عليه — تَجِبُ الزَّكَاةُ عَلَى الْمُسْلِمِ ، الْحُرِّ ، الْبَالِغِ ، الْعَاقِلِ ، الْمَالك لِمِقْدَارٍ مَخْصُوصٍ من الْمَالِ (يُسَمَّى النِّصَابَ) ، خَالٍ من الدُّيونِ وَمِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَيَكُونُ قَدْ مَضَى عَلَيْهِ حَوْلٌ كَامِلٌ فِي مِلْكِهِ .

(٣) ما تجب فيه — تَجِبُ فِيمَا يَمْلِكُهُ الإِنْسَانُ مِنَ النَّقْدَيْنِ (وَهُمَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ) ، وَالإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ ، وَالْمَحْصُولَاتِ الزِّرَاعِيَّةِ ، وَأَمْوَالِ التِّجَارَةِ .

زكاة النقدَين

(ا) مَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِشْرُونَ مِثْقَالًا من الذَّهَبِ (١١,٩٥ جُنَيْهًا مصْرِيًّا أَوْ ١٢,٢٥ جنيهاً انجليزياً) وَجَبَ عَلَيه أَنْ يُخْرِجَ عَنْهَا رُبْعَ الْعُشْرِ ، أَىْ اثْنَيْنِ وَنِصْفًا فى الْمِائَةِ (٣٠ قرْشًا) .

(ب) وَمَنْ كَانَ عنده مائتا دِرْهَم من الْفِضَّةِ (٤٤٥ قرْشًا) ، وَجَبَ أَنْ يُخْرِجَ عَنْهَا رُبْعَ الْعُشْرِ أَيْضًا (١١,١ قِرْشًا) سَوَاءٌ كَانَ مَا عِنْدَهُ من الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ نُقُودًا أَوْ حُلِيًّا أَوْ سَبِيكَةً .

زكاة عُروض التجارة

مَنْ كَانَ لَهُ أَصْنَافُ تِجَارَةٍ مِنْ غَيْرِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ سَوَاءٌ أَكَانَتْ مَكِيلَاتٍ أَمْ مَوْزُونَاتٍ أَمْ حَيَوَانًا أَمْ عَقَارًا أَمْ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَكَانَتْ قِيمَتُهَا تَبْلُغَ النِّصَابَ (أَى ١١,٩٥ جُنَيْهًا مِصْرِيًّا)

مِنَ الذَّهَبِ (أَوْ ٤٤٥ قِرْشًا) مِنَ الْفِضَّةِ ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُخْرِجَ عَنْهَا الزَّكَاةَ بِمِقْدَارِ رُبْعِ الْعُشْرِ مَتَى كَانَ غَيْرَ مَدِينٍ وَلَا مُحْتَاجٍ إِلَى أَثْمَانِهَا ، وَحَالَ عَلَيْهَا عَامٌ كَامِلٌ .

وَإِذَا كَانَتِ التِّجَارَةُ مِنْ أَصْنَافٍ مُخْتَلِفَةٍ ضُمَّتْ قِيمَتُهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا بَلَغَتْ نِصَابًا وَجَبَتْ فِيهَا الزَّكَاةُ وَإِلَّا فَلَا .

زكاة الفطر

(١) هى صَدَقَةٌ يُخْرِجُهَا الْمُسْلِمُ عَقِبَ انْتِهَاءِ رَمَضَانَ مَتَى كَانَ مَالِكًا لِنِصَابِ الزَّكَاةِ الَّذِى مَرَّ تَقْدِيرُهُ فَاضِلًا عَنْ حَاجَتِهِ وَحَاجَةِ أَوْلَادِهِ .

(٢) وقتها — مِنْ طُلُوعِ فَجْرِ يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ ، وَيَجُوزُ تَقْدِيمُهَا فِى رَمَضَانَ عَنْ يَوْمِ الْعِيدِ .

(٣) من تخرج عنه — يُخْرِجُهَا الْمُسْلِمُ الْحُرُّ عَنْ نَفْسِهِ وَأَوْلَادِهِ الصِّغَارِ الْفُقَرَاءِ ، وَالْكِبَارِ إِذَا كَانُوا مَجَانِينَ .

(٤) مقدارها ــ قَدَحَانِ وَثُلُثَا قَدَحٍ عَنِ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ مِنَ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ أَوِ الذُّرَةِ ، وَقَدَحٌ وَثُلُثُ قَدَحٍ مِنَ الْقَمْحِ أَوْ دَقِيقِهِ ، فَالْكَيْلَةُ مِنَ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى تُجْزِى عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْخَاصٍ وَمِنَ الْأَخِيرَيْنِ عَنْ سِتَّةٍ .

(٥) مصارفها ــ هِيَ مَصَارِفُ الزَّكَاةِ الآتِيَةُ :

مصارف الزكاة

تُصْرَفُ الزَّكَاةُ إِلَى مَنْ يَأْتِي :

(١) الْفَقِيرُ وَهُوَ مَنْ يَمْلِكُ شَيْئًا قَلِيلًا .

(٢) الْمِسْكِينُ : وَهُوَ مَنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا .

(٣) الْعَامِلُ عَلَيْهَا : وَهُوَ الَّذِي يَجْمَعُ الزَّكَاةَ مِنَ النَّاسِ .

(٤) الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ ، وَهُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ وَفِي إِيمَانِهِمْ ضَعْفٌ ، أَوِ الَّذِينَ يُرَادُ اسْتِمَالَتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ دَفْعُ أَذَاهُمْ وَشَرِّهِمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ .

(٥) الْعَبْدُ الَّذِى طَلَبَ مِنْهُ سَيِّدُهُ أَنْ يُؤَدِّىَ إِلَيْهِ مِقْدَارًا مِنَ الْمَالِ لِيُعْتِقَهُ ، فَهَذَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ مِنَ الزَّكَاةِ لِيَصِيرَ حُرًّا .

(٦) الْغَارِمُ ، وَهُوَ الْمَدِينُ الَّذِى لَا يَمْلِكُ مَا يَزِيدُ عَلَى دَيْنِهِ إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا .

(٧) الْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّينِ .

(٨) ابْنُ السَّبِيلِ ، وَهُوَ الْمُسَافِرُ الْغَرِيبُ الَّذِى نَفِدَ مَالُهُ .

حكمة الزكاة

شَرَعَ اللهُ الزَّكَاةَ وَأَوْجَبَهَا عَلَى الْأَغْنِيَاءِ لِفَوَائِدَ جَلِيلَةٍ تَعُودُ عَلَى الْمُعْطِى وَعَلَى الْآخِذِ ، وَأَهَمُّهَا :

(١) حِفْظُ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ مِنْ أَضْرَارِ الْفَقْرِ وَذُلِّهِ ، وَتَحْسِينُ حَالِهِمُ الصِّحِّيَّةِ ، فَلَا تَفْتِكُ بِهِمُ الْأَمْرَاضُ وَالْأَوْبِئَةُ .

(٢) تَقْلِيلُ عَدَدِ الْمُتَعَطِّلِينَ ، وَالشَّحَّاذِينَ الَّذِينَ يَعِيثُونَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا ، وَيَعُمُّ ضَرَرُهُمُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ

(٣) تَخْفِيفُ وَطْأَةِ الْفَقْرِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ فَتَقِلُّ جَرَائِمُهُمْ وَشُرُورُهُمْ ، لِأَنَّ الْفَقْرَ فِي الْغَالِبِ هُوَ الَّذِي يَدْفَعُ إِلَى ٱرْتِكَابِ الْجَرَائِمِ وَالشُّرُورِ .

(٤) تَرْغِيبُ بَعْضِ الْكُفَّارِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَدَفْعُ أَذَى فَرِيقٍ مِنْهُمْ عَنِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَالْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ نَشْرِ الدِّينِ وَإِعْلَاءِ شَأْنِهِ .

(٥) تَحْبِيبُ الْأَغْنِيَاءِ إِلَى الْفُقَرَاءِ ، وَانْتِزَاعُ الْحِقْدِ مِنْ قُلُوبِهِمْ فَلَا يَتَعَرَّضُونَ لَهُمْ بِأَذًى .

أَحْسِنْ إِلَى ٱلنَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ

فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ ٱلْإِنْسَانَ إِحْسَانُ

(٦) تَطْهِيرُ الْأَغْنِيَاءِ مِنْ وَصْمَةِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ بِحَمْلِهِمْ عَلَى بَذْلِ شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ .

الحج

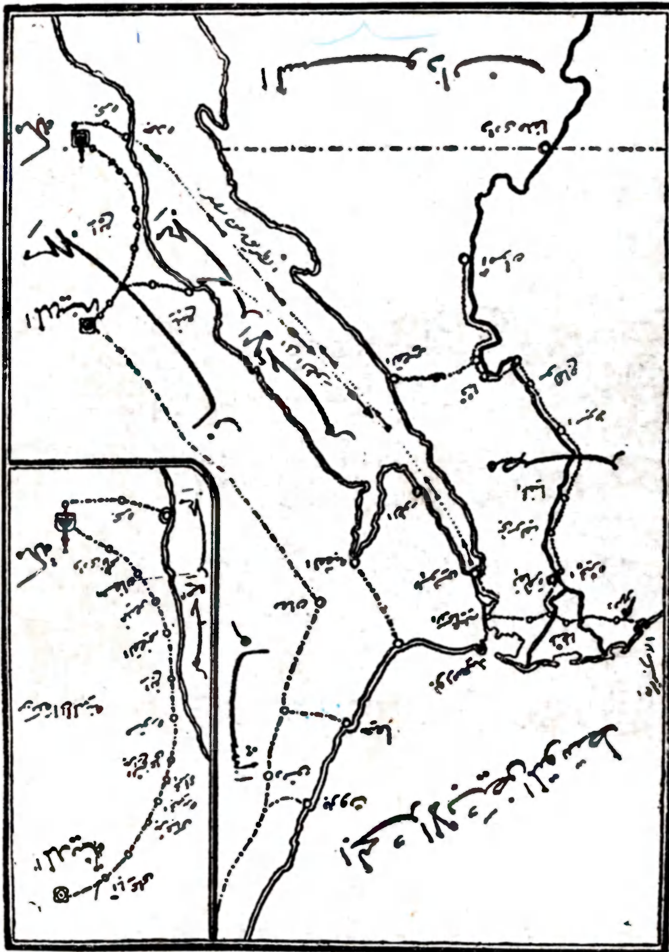
(١) هُوَ أَحَدُ الأَرْكَانِ الخَمْسَةِ التى بُنِيَ عَلَيْهَا الإِسْلَامُ وَقَدْ فَرَضَهُ اللهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ على كُلِّ إِنْسَانٍ : رَجُلاً كَانَ أَوِ امْرَأَةً عِنْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

(٢) وَهُوَ مَجْمُوعُ الأَعْمَالِ الآتِيَةِ : الإِحْرَامُ ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ ، وَالطَّوَافُ بِالْكَعْبَةِ فِي أَوْقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ .

فالإحرام : هُوَ النِّيَّةُ مع ذِكْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

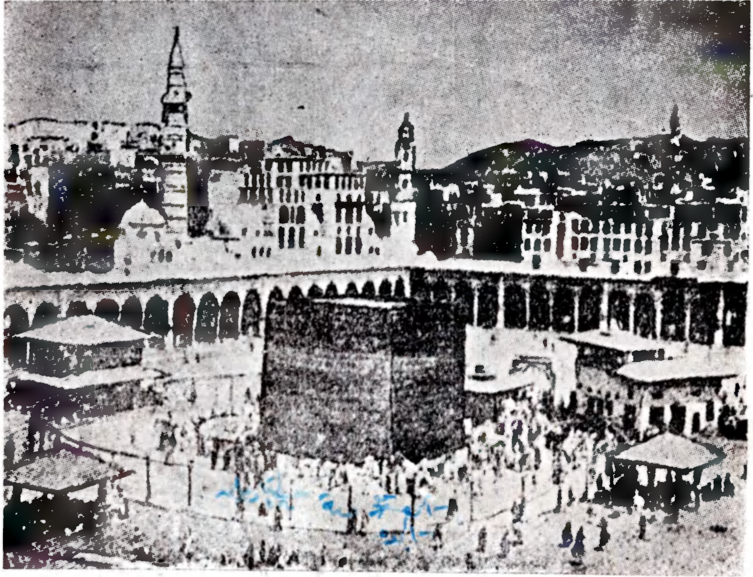
عرفة — جَبَلٌ شَرقِيَّ مَكَّةَ عَلَى بُعْدِ ٢١ كِيلُو مِتْراً تَقْرِيباً مِنْهَا (انظر شكل ٤) .

الكعبة — بِنَاءٌ مِنَ الحِجَارَةِ الزُّرْقِ كَالحُجْرَةِ يَقْرُبُ أَنْ يَكُونَ مُرَبَّعاً دَاخِلَ المَسْجِدِ الحَرَامِ بِمَكَّةَ وَهِيَ مَكْسُوَّةٌ بِنَسِيجِ الحَرِيرِ المُوَشَّى بِالْقَصَبِ (انظر شكل ٣) .



(شكل ١) طريق الحج من القطر المصرى

(٣) وقته — هُوَ شَوَّالٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَعَشَرَةُ الْأَيَّامِ الْأُولَى مِنْ ذِي الْحَجَّة .



(شكل ٢) مكة المكرمة وبها المسجد الحرام وفى وسطه الكعبة

فَالْإِحْرَامُ يَكُونُ فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ السَّنَةِ ، بِحَيْثُ لَا يَتَأَخَّرُ عَنِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ .

وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي الْيَوْمِ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى فَجْرِ يَوْمِ الْعِيدِ .

وَالطَّوَافُ بِالْكَعْبَةِ يَبْتَدِئُ مِنْ فَجْرِ يَوْمِ الْعِيدِ ، وَالْأَفْضَلُ أَدَاؤُهُ فِي هٰذَا الْيَوْمِ .

(٤) شروطه — الْإِسْلَامُ ، وَالْبُلُوغُ ، وَالْعَقْلُ ، وَالْحُرِّيَّةُ ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى السَّفَرِ وَنَفَقَاتِهِ .

(٥) وأركانه — الْإِحْرَامُ ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ ، وَالطَّوَافُ بِالْكَعْبَةِ ، وَالتَّرْتِيبُ بَيْنَهَا حَسْبَمَا ذُكِرَتْ ، وَأَدَاءُ هٰذِهِ الْأَعْمَالِ فِي أَوْقَاتِهَا . فَإِذَا تُرِكَ وَاحِدٌ مِنْ هٰذِهِ الْأَرْكَانِ بَطَلَ الْحَجُّ .

كيفية الحج

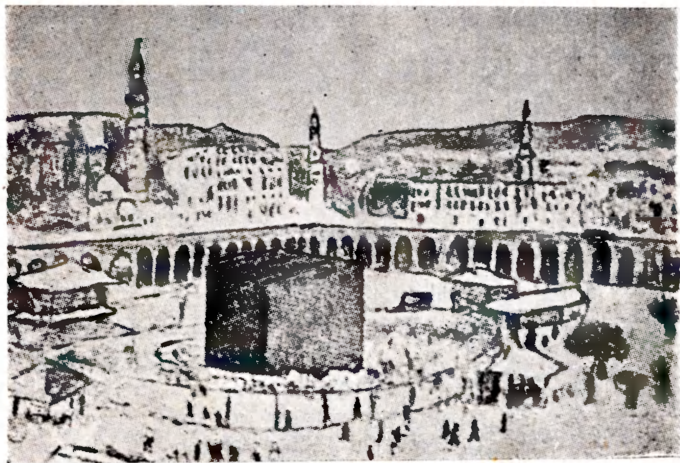
إِذَا أَرَادَ إِنْسَانٌ الْحَجَّ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ مَا يَأْتِي :

(١) يُنَظِّفُ بَدَنَهُ ، وَيَقُصُّ شَعْرَهُ ، وَيَخْلَعُ كُلَّ الْمَلَابِسِ الْمَخِيطَةِ ، وَيَلْبَسُ إِزَاراً يَلُفُّهُ عَلَى نِصْفِهِ الْأَسْفَلِ ، وَرِدَاءً عَلَى

نِصفهِ الأعْلَى ، ثُمَّ ينوِى بِقَوْلِهِ : " أللّهم إنِّى أُرِيدُ الحجَ فيسِّرهُ لِى ، وَتَقبّلهُ مِنِّى " . ثُمَّ يَذْكُرَ اللهَ بِقَوْلِهِ : " لَبَّيْكَ ، اللّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لبيكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لبَّيكَ ، إنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لكَ وَالمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ " . " وَهٰذَا هُوَ الإحْرَامُ وَهُوَ الرُّكْنُ الأَوَّلُ " فَإذَا فعلَ ذٰلِكَ يَحْرُمُ عَلَيْهِ أَنْ يُغطِّى رَأْسَهُ أَوْ وَجْهَهُ ، أَوْ يَقُصَّ شَعْرَهُ ، أَوْ يُقَلِّمَ أَظْفَارَهُ ، أَوْ يَلْبَسَ ثِيَابًا أَوْ حِذَاءً مَخِيطًا ، أَوْ يُخَاصِمَ أَحَدًا .

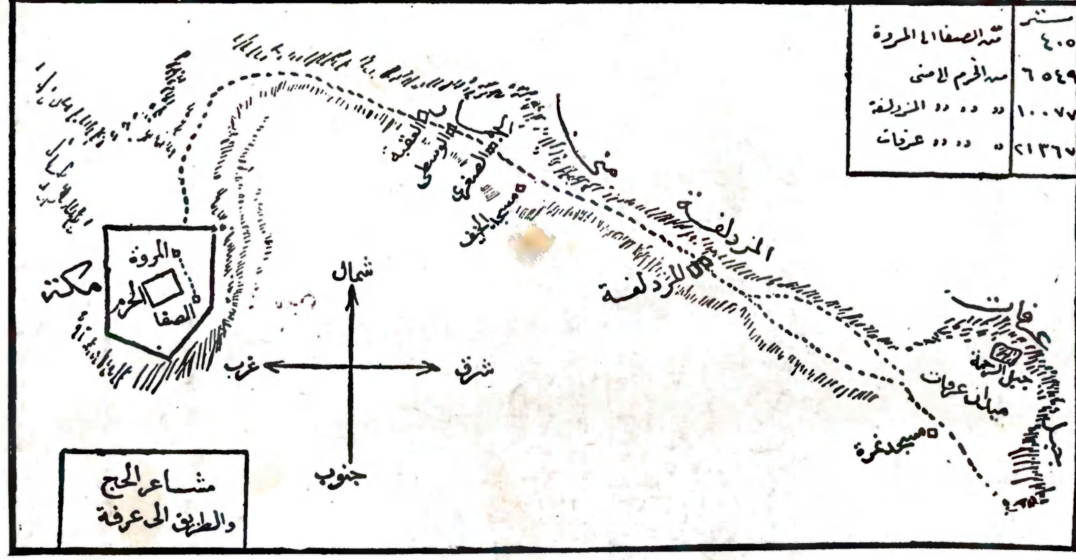
(٢) حَتَّى إِذَا وَصَلَ الَى مَكَّةَ يَبْدَأُ بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَيَطُوفُ حَوْلَ الكَعْبَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَيُصَلِّى مَا يَسْتَطِيعُ (انظر شكل ٣) ثُمَّ يَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ بَادِئًا مِنَ الصَّفَا ، مُنْتَهِيًا بِالمَرْوَةِ (انظر شكل ٤) ، وَيَمْكُثُ بِمَكَّةَ الَى اليَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ شَهْرِ ذِى الحِجَّةِ ، وَفِيهِ يَخْرُجُ الَى " مِنًى " فَيَبِيتُ فِيهَا .

(٣) وَفِى الْيَوْمِ التَّاسِعِ يَذْهَبُ الَى عَرَفَةَ وَيَقِفُ عَلَى الْجَبَلِ وَلَوْ لَحْظَةً "وهذا هو الركن الثانى" (انظر شكل ٤) وَيَمْكُثُ بِعَرَفَةَ الَى مَا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، ثُمَّ يُغَادِرُهَا الَى الْمُزْدَلِفَةِ وَيَبِيتُ فِيهَا .



(شكل ٣) الكعبة المشرفة فى وسط المسجد الحرام

(٤) وَفِى الْيَوْمِ الْعَاشِرِ، وَهُوَ يَوْمُ الْعِيدِ، يَذْهَبُ الَى مِنًى بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ . وَبَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَرْمِى سَبْعَ حَصَيَاتٍ بِجَمْرَةِ



(شكل ٤) مشاعر (أماكن) الحج

الْعقَبَة بِمِنًى (انظر شكل ٤) ثُمَّ يَذْبَحُ شَاةً بِهَا وَيُفَرِّقُ لَحْمَهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَيَحْلِقُ شَعْرَهُ أَوْ يُقَصِّرُهُ ، ثُمَّ يَعُودُ الَى مَكَّةَ ، وَيَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ "وهذا هو الركن الثالث" .

وَمَتَى فَرَغَ مِنَ الطَّوَافِ حَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ مَمْنُوعاً مِنْهُ ، وَيَعُودُ الَى مِنًى . وَفِى الْيَوْمِ الْحَادِى عَشَرَ يَرْمِى ثَلَاثَ جَمَرَاتٍ كُلُّ وَاحِدَةٍ سَبْعُ حَصَيَاتٍ ، فِى مَوَاضِعِهَا الْمُبَيَّنَةِ (بالشكل ٤) وَكَذَا فِى الْيَوْمِ الثَّانِى عَشَرَ مُبْتَدِئاً بِالصُّغْرَى ثُمَّ بِالْوُسْطَى ثُمَّ بِالْعَقَبَةِ وَذٰلِكَ بَعْدَ الزَّوَالِ .

بِذٰلِكَ يَنْتَهِى حَجُّهُ ، وَيَكُونُ قَدْ أَرْضَى ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَدَاءِ الْفَرِيضَةِ الَّتِى فَرَضَهَا عَلَيْهِ .

ثُمَّ هُوَ بِالْخِيَارِ ، فَإِنْ شَاءَ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَلٰكِنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ يَذْهَبَ الَى ٱلْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لِزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُمَا ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى بَلَدِهِ مَأْجُورًا مَغْفُورًا لَهُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ .

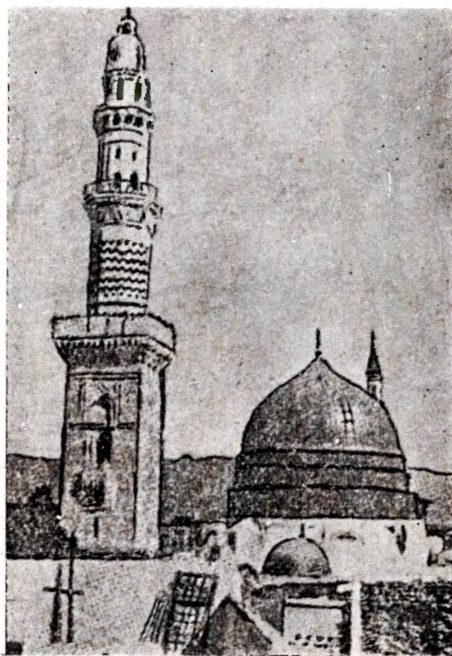


(شكل ٥) المدينة المنورة

حكمة الحج

(١) شَرَعَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ الاجْتِمَاعَ فِى أَوْقَاتِ ٱلصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَفِى الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعَاوُنِ وَٱتِّحَادِ الْكَلِمَةِ لِأَهْلِ الْحَىِّ الْوَاحِدِ أَوْ الْبَلَدِ الْوَاحِدِ .

(٢) ولَمَّا كَانَ هٰذَا الْاجْتِمَاعُ لَا يَفِى بِكُلِّ الْغَايَاتِ الَّتِي يَقْصِدُهَا الإِسْلَامُ ، لِأَنَّ الْفَائِدَةَ مِنْهُ مَقْصُورَةٌ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ أَوِ الْقُطْرِ ، شَرَعَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ اجْتِمَاعًا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ مِنْ سَائِرِ أَقْطَارِ الْعَالَمِ فِى مَكَانٍ وَاحِدٍ ، وَكُلُّهُمْ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ



(شكل ٦) قبة الروضة الشريفة وبها قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما

وَغَرَضٍ وَاحِدٍ ، يَقُومُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ وَالْخُطَبَاءُ يُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ ، وَيُرْشِدُونَ الْمُسْتَرْشِدَ ، وَيُطْلِعُونَهُمْ عَلَى أَحْوَالِ الْأُمَمِ الْبَعِيدَةِ مِنْهُمْ ، وَيُبَيِّنُونَ لَهُمْ مَا عَلَيْهِ حَالُ هٰذِهِ الْأُمَمِ مِنَ الْعَادَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالتَّقَدُّمِ فِي الْعُلُومِ وَالصِّنَاعَاتِ ، فَيَعُودُ الْحَاجُّ إِلَى بَلَدِهِ وَعِنْدَهُ كَثِيرٌ مِنْ أَخْبَارِ هٰذِهِ الْأُمَمِ ، وَمَبْلَغِ تَقَدُّمِهَا ، فَتَنْشَطُ نَفْسُهُ لِمُبَارَاتِهَا وَالنَّسْجِ عَلَى مِنْوَالِهَا .

(٣) إِنَّ زِيَارَةَ أَمَاكِنِ الْحَجِّ الْمُقَدَّسَةِ تُذَكِّرُ الْمُسْلِمِينَ بِمَا جَرَى لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذِ ابْتُلِيَ بِالْأَمْرِ بِذَبْحِ وَلَدِهِ فَأَطَاعَ أَمْرَ رَبِّهِ ، وَامْتَثَلَ الِابْنُ أَمْرَ أَبِيهِ رَاضِيًا بِالْمَوْتِ ، فَأَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا بِالْفِدَاءِ ، وَبَدَّلَهُمَا مَكَانَ الْحُزْنِ وَالْكَدَرِ الْمَسَرَّةَ وَالْفَرَحَ .

(٤) وَتُذَكِّرُهُمْ بِمَبْعَثِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَهْبِطِ الرِّسَالَةِ وَمَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ النَّصْرِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى خَضَعَ

لَهُ عُظَمَاءُ الْمُتَجَبِّرِينَ ، وَذَلَّ لَهُ زُعَمَاءُ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا .

(٥) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا آجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَآتَّجَهَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى اللهِ بِإِخْلَاصٍ ؛ وَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ جَلَّ شَأْنُهُ بِالرَّجَاءِ ، مَعَ آشْتِغَالِ أَلْسِنَتِهِمْ بِالْآبْتِهَالِ وَمُخْتَلِفِ الدُّعَاءِ ، وَتَجَرُّدِهِمْ مِنْ مَظَاهِرِ الْعَظَمَةِ وَزُخْرُفِ الدُّنْيَا ؛ وَوُقُوفِ كَبِيرِهِمْ إِلَى جَانِبِ صَغِيرِهِمْ ، وَغَنِيِّهِمْ إِلَى جَانِبِ فَقِيرِهِمْ ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُخَيِّبُ لَهُمْ قَصْدًا ، وَهُنَاكَ يَعْرِفُونَ فَضْلَ التَّعَاوُنِ وَالْمُعَاضَدَةِ؛ وَتَقْوَى بَيْنَهُمْ رَوَابِطُ الِاتِّحَادِ وَالِائْتِلَافِ .

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق
في يوم ٨ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٩
(٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٠)
مدير المطبعة الأميرية
محمود زكي إبراهيم

المطبعة الأميرية ٣٣٥-١٩٤٠-٦٠٠٠

عبد القادر طه محمد